# فلسفة السماع الصوفي عند الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي [٦٧٨هـ]

دكتور

**خالد عبد الموجود مصطفي محمد دويدار**

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر

# فلسفة السماع الصوفي عند الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي (٦٧٨هـ)

**خالد عبد الموجود مصطفي محمد دويدار**

قسم العقيدة والفلسفة ، كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ،القاهرة ، مصر.

البريد الالكترونى : khaled_dor@azhar.edu.eg

**ملخص :**

فهذه الدراسة التي بين أيدينا يكون اهتمامي مصبوباُ فيه حول: إظهار ملامح حياة واحد من علماء القرن السابع الهجري، وهو العالم الرباني والعارف بالله الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي، سواء كانت ملامح شخصية، أو علمية، هذا أولاً.وثانياً: بيان الخطوط العامة التي تظهر فى فكر الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي، سواء من الناحية العقدية، أو الصوفية. وثالثاً: أُركز في هذه الدراسة واهتم اهتماماً خاصاً برأي الإمام عبد السلام بن غانم فى مسألة السماع الصوفي، وكيف أقام رأيه في إباحته. والبحث يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة: المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، ومكونات البحث. الفصل الأول: التعريف بالشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي، الفصل الثاني: موقف الشيخ عبد السلام بن غانم من التصوف، الفصل الثالث: موقف ابن غانم من السماع الصوفي، الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** سماع، ابن غانم، التصوف، فلسفة.

# The Philosophy of Sufi Listening by Sheikh Abdul Salam bin Ghanem al-Maqdisi (678 Ah)

**Khaled Abdel-Maqdis Mustafa Mohammed Doidar**

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Religious Origins, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: khaled_dor@azhar.edu.eg

**Abstract:**

This study in our hands is based on my concern: to show the life features of one of the scholars of the 7th century AH, the godly scholar and knowledgeable sheikh Abdul Salam bin Ghanem al-Maqdisi, whether it is personal or scientific features, and secondly, to outline the outlines that appear in the thinking of Sheikh Abd al-Salam bin Ghanem al-Maqdisi, both from the nodal and Sufi aspects. Thirdly, I focus on this study and pay special attention to the opinion of Imam Abd al-Salam bin Ghanem on the issue of Sufi listening, and how he has established his opinion in his devotion. The research consists of an introduction, three chapters and a conclusion: introduction: the importance of the subject, and the components of the research. Chapter 1: Introducing Sheikh Abdul Salam bin Ghanem al-Maqdisi, Chapter 2: Sheikh Abdul Salam bin Ghanem's Position on Sufism, Chapter 3: Ibn Ghanem's Position on Sufi Hearing, Conclusion: The Most Important Findings of the Study.

**Keywords**: Hearing, Ibn Ghanem, Sufism, Philosophy

# المقدمة

الحمد لله ولي كل خير وهداية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى أفضل طريق وغاية، ورضي الله عن أصحابه مصابيح الهدى والدين، وتابعيهم السالكين نهجهم القويم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن أشد ما يحتاجه الناس في هذا العصر: العناية بالروح، والفهم للدين، والعمل به، وقد تهيأ هذا للسلف الصالح على الوجه الأوفى، فطاب مجتمعهم، وصلح سلوكهم، وكثر خيرهم، وقل شرهم، وكسبوا لأنفسهم في دنياهم وأخراهم خيراً.

وهذه الدراسة التي بين أيدينا يكون اهتمامي مصبوباً فيه حول: إظهار ملامح حياة واحد من علماء القرن السابع الهجري، وهو العالم الرباني والعارف بالله الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي، سواء كانت ملامح شخصية، أو علمية، هذا أولاً.

وثانياً: بيان الخطوط العامة التي تظهر فى فكر الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي، سواء من الناحية العقدية، أو الصوفية.

وثالثاً: أُركز في هذه الدراسة واهتم اهتماماً خاصاً برأي الإمام عبد السلام بن غانم فى مسألة السماع الصوفي، وكيف أقام رأيه في إباحته.

ولعل مسألة السماع كانت من أهم الأمور التي كانت تثير إنكار المنكرين على الصوفية، في زمانه، وحاول المقدسي أن يدلي بآرائه بكل جرأةٍ وصراحةٍ فأنشد:

قم فردِّدْ في الحانِ ألحان ذكري  فسماع الألحان غير حرام

ففتوى المقدسي كان لها وزنها وثقلها في الأوساط العلمية في ذلك الوقت، ولا ريب أنه قد بلغ مرتبة عالية ممتازة في العلم والفقه، مما جعله يجرؤ على التصريح بمثل هذا الكلام، في مجالس حافلة بأكابر أهل العلم والفقه في زمانه.

ولقد اهتم الصوفية بالسماع الديني وتفننوا في ضبط قواعده وآدابه، وجعلوه رياضة عملية بقصد ترقيق القلب، وتهيئته، بإثارة نار الوجد وتزكية نار الحب والشوق لله تعالي.

ولا شك أن السماع كان وما يزال أحد الأساليب التي يلجأ إليه أكثر الناس للتخفيف من أعباء الحياة وضيقها، لكنه عند الصوفية يتضمن هذه الأهداف ويتجاوزها إلى أهداف أخري أبعد مدى وأكثر عمقاً، وستحاول هذه الدراسة توضيحها، وتبين معالمها.

**مكونات البحث**: والبحث سوف يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

**المقدمة**: وفيها أهمية الموضوع، ومكونات البحث.

**الفصل الأول**: **التعريف بالشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي وفيه**:

أولاً: اسمه، وثانياً: لقبه وكنيته، وثالثا: نسبــه، ورابعاً: مولده ووفاته، وخامساً: شيوخه وتلاميذه، وسادساً: مكانته العلمية، وسابعاً: مذهبـه العقدي، وثامناً: مؤلفـاته.

**الفصل الثاني: موقف الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي من التصوف وفيه مباحث:**

**المبحث الأول: التصوف قبل الشيخ عبد السلام بن غانم.**

**المبحث الثاني: التصوف في عصر ابن غانم.**

**المبحث الثالث: آراؤه وموقفه من القضايا الصوفية.**

**المبحث الرابع: موقفه من الصوفية السابقين.**

**الفصل الثالث: موقف ابن غانم من السماع الصوفي وفيه مباحث:**

**المبحث الأول: تعريف السماع وأنواعه.**

**المبحث الثاني: أهمية السماع عند الصوفية.**

**المبحث الثالث: الاتجاهات فى السماع.**

**المبحث الرابع: أدلة الشيخ عبد السلام بن غانم علي إباحة السماع.**

**المبحث الخامس: حكم آلات السماع**

**المبحث السادس: الرد على منكري السماع وذكر من يحل لهم السماع.**

**المبحث السابع: أبعاد السماع الصوفي وآدابه.**

**الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من الدراسة.**

وأخيراً أسأل الله العلي القدير السداد والتوفيق، وما كان في هذا الدراسة من صواب فمنه وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، ولنشرع في المقصود بعون من الملك المعبود، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

# الفصل الأول: التعريف بالشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي

## اولاً: اسمه:

**ترجم له القطب اليونيني (٧٢٦هـ)، قال: (عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين، أبو محمد، عز الدين، الأنصاري، المقدسي المولد، المصري الدار والوفاة، الواعظ المشهور) [١].**

**وقد ذهب إلى ذلك الحافظ بن كثير فقال: (عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين، عز الدين " أحمد " الأنصاري المقدسي، الواعظ المطبق، الشاعر الفصيح المغلق. نسج على منوال ابن الجوزي وأمثاله..) [٢]، ولم يزد اليافعي [٣]، وابن العماد [٤] الحنبلي على ذلك شيئاً، ونخلص من أقوال هؤلاء العلماء الثقات، الذين يحتج بكلامهم، إلى أن نسبه كان على النحو التالي: (عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري).**

---

(١) ذيل مرآة الزمان لليونيني، (٤ / ١٣)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، (٢٩٥/١٣)، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٣) مرآة الجنان لليافعي (٤ / ١٩٠)، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م.

(٤) شذرات الذهب لابن العماد، (٥ / ٣٦٢) ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط للأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

**أما حاجي خليفة في كشف الظنون فقد ذكره باسم: " عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسي الشافعي" [١]، وكذلك البغدادي في هداية العارفين ذكره باسم " عبد السلام بن محمد بن أحمد بن غانم المقدسي الشافعي" [٢]، أما في إيضاح المكنون فقد ذكره باسم " عبد السلام بن أحمد " [٣]، ولعل ذلك من قبيل التصحيف حيث لم يذكره باسم عبد السلام بن محمد سوى حاجي خليفة في كشف الظنون والبغدادي في هدية العارفين.**

## ثانياً: لقبه وكنيته:

**لقبه: " عز الدين "، وكنيته: " أبو محمد "، وهذا ما ذكره اليونيني في ذيل المرآة [٤]، ولعل التشابه في اللقب بينه وبين العز بن عبد السلام (سلطان العلماء) هو الذي أوقع بعض المؤرخين في الخطأ، فنسبوا بعض مؤلفاته للعز بن عبد السلام [٥].**

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة ط – وكالة العارف الجديدة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م الناشر مكتبة المثنى بغداد، (١ / ٦٨٦).

(٢) هدية العارفين للبغدادي، (١ / ٥٧١)، ط وكالة المعارف، إستانبول ١٩٥١ م.

(٣) إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للبغدادي، (١ / ٤١٦) ط منشورات مكتبة المثنى بغداد، بدون تاريخ.

(٤) ذيل المرآة لليونيني (٤ / ١٤).

(٥) مثل ما حدث في كشف الظنون (٢ / ١٤٨٥) عندما نسب كتاب " كشف الأسرار " إلى العز بن عبد السلام، وكما حدث في الإعلام للزركلي عندما نسب حل الرموز إلى العز بن عبد السلام.

**ثالثاً: نسبـــه:**

**أجمع المؤرخون ممن وقفت عليهم على أن الشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم مقدسي الأصل والمولد ولم يختلف في ذلك أحدُ منهم.**

**رابعاً: مولده ووفاته:**

**أجمع من ترجم " لابن غانم " على أن وفاته كانت عام (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩م) [١] وصف اليونيني حادثه ووفاته، مؤرخاً له بدقة، يقول: (توفى إلى رحمة الله تعالى ورضي عنه، شهيداً، لأنه وقع من موضع مرتفع، فتوجع قليلاً ومات يوم الأربعاء، ثامن عشر شوال، سنة ثمان وسبعين وست مائة، بالقاهرة، ودفن بمقبرة باب النصر، ولم يبلغ الخمسين سنة من العمر) [٢].**

**ومع أن أحداً من مترجمي المقدسي لم يذكر سنة ولادته، فإن إشارة اليونيني إلى أنه (لم يبلغ الخمسين سنة من العمر) تشعر بأن ولادته كانت في حدود (٦٢٨ – ٦٢٩)، (١٢٣٠ – ١٢٣١).**

**خامساً: شيوخه وتلاميذه:**

**لم تصرح كتب التراجم التي وقفت عليها عدا اليونيني باسم أحد من شيوخه أو تلاميذه، أما اليونيني فقد أشار إلى بعض شيوخه، وجميعهم**

---

(١) لقد ذكر صاحب كشف الظنون أن وفاته عام ٩٧٨ هـ / راجع كشف الظنون (١ / ٤٦٣). وقد تبعه البغدادي في هذا فذكر أن وفاته / ٩٧٨ هـ – هدية العارفين (١ / ٥٧١).

(٢) ذيل مرآة الزمان: اليونيني (٤ / ٢٥) .

من أسرته، وفي طليعة هؤلاء جده الشيخ " غانم " قدوته في طريق التصوف ونبراسه، فقال: " كان شاباً فاضلاً، عالماً، اشتغل أول عمره بالكتاب العزيز ثم بالعلم، فحصلت له مشاركة جيدة، ثم بعد ذلك لازم كلام جده الشيخ غانم – رحمه الله – فانتفع به"[١].

وإذا كان الجد " غانم " قد انتقل إلى جوار ربه ( ٦٣٢ هـ ) كما ذكر اليونيني، أي والشيخ عبد السلام لم يبلغ من العمر ثلاث سنوات، فلابد من حلقة وصل بين الحفيد وجده، وهي إما والده الشيخ أحمد بن غانم الزاهد، الذي كان كفيلاً بأن يلقن ابنه وينقل إليه كل ما ورثه عن أبيه، أو أن يكون الشيخ عبد السلام لازم كلام جده عن طريق قراءة التراث الذي تركه، ولم يكن مكنوناً في الصدور وحسب، بل كان محفوظاً في السطور، وهذا ما أشار إليه اليونيني بقوله : " للشيخ غانم كلام كثير مدون، وأشعار على طريق القوم " [٢]، وإما أن يكون الاثنان معاً، وبذلك يكون قد اجتمعت للشيخ عبد السلام المصادر الحية والمكتوبة ليقتفي أثر جده، ويتخلق بأخلاقه من إعراض عن الدنيا، وتفرغ للعبادة، ومجاهدة النفس، فصح له سلوكه.

الثاني: والده " الشيخ أحمد بن غانم المقدسي "، والشهير بأبي العباس، فقد أورد له اليونيني ترجمة موجزة قال:

(كان شيخاً كبيراً جليلاً، منقطعاً عن الناس، مشتغلاً بأوراده وأذكاره وتلاوته، على قدم السلف، لا يشتغل بما لا يعنيه، ولا يضيع أوقاته في

---

(١) ذيل مرآة الزمان: لليونيني (٣ / ٥٩).

(٢) المرجع السابق (٣ / ٦١).

شيء من أمور الدنيا أجهد نفسه في العبادة، والتقلل من الدنيا، وملازمة الورع والزهد، وعدم التطلع إلى مشيخة أو رياسة أو منصب، ربي صغيراً على قدم الانفراد والتجريد والعبادة، واستمر على ذلك إلى حين وفاته، قال والده الشيخ غانم – رحمه الله – من أراد أن ينظر إلى عابد من عباد بني إسرائيل، فلينظر إلى أحمد – توفي في شعبان ( ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ) وقد تجاوز تسعين سنة – رحمه الله [١].

الثالث: عمه الشيخ " عبد الله بن غانم " فقد كان أحد رجال الأسرة المقدسية البارزين، و لعله كان له دور في توجيه عبد السلام ابن أخيه، ودفعه إلى ميادين الدعوة إلى الله، يقول عنه اليونيني: " عبد الله بن غانم: الشيخ العارف الصالح، كان من أعيان المشايخ، مشهور بالخير والعبادة ومكارم الأخلاق، جمع الله له بين حسن الصورة والمعنى، وله الصيت المشهور، والآثار الجميلة، ومعظم مقامه بنابلس، وله فيها زاوية معمورة بالفقراء الأخيار والواردين، ويتردد إلى البيت المقدس ويكثر القيام به، وله فيه زاوية مشهورة، وأتباع ومريدون، وعنده فضيلة ومعرفة بطريق القوم) [٢].

ولقد أشار اليونيني إلى الفترة التي قضاها الشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم مع عمه في نابلس، وأن ذلك كان في بداية شروعه في الوعظ، فقال: " وكان مبدأ شروعه في الوعظ، أنه طلبَ منه مجلس تذكير في حال الخلوة، ابن عمه أبو الحسن – في حياة عمه الشيخ عبد الله – فأطربه –

---

([١]) ذيل مرآة الزمان: لليونيني (٤ / ١٤٨).

([٢]) المرجع السابق (٤ / ١٤٨).

وبلغ الشيخ (عبد الله) ذلك فطلبه إليه، وسأله الجلوس، فجلس، واشتهر، وقصد لسماع كلامه، لا عن قصدٍ منه " [١].

وهكذا انتقل عبد السلام من " القدس " حيث كان يقيم مع والده وأهله، إلى " نابلس " حيث كانت إقامة عمه عبد الله وزاويته، وكان الشيخ (عبد الله) قد سدد سيره على نهج أبيه غانم، وكان راسخ القدم في طريق القوم، وله كلام قوي في التصوف، – وكان (شاعراً صوفياً مجيداً) وصفه ابن كثير [٢].

ولقد أفاد الشيخ عبد السلام من عمه وتأثر به تأثراً كبيراً، في شعره، ونثره، واشترك معه في الرد على من هاجم الصوفية من الفقهاء، واعترض عليهم في مسألة السماع الصوفي، واستعمال أدوات الطرب عند السماع، ولعبد السلام وعمه أشعار قوية – مدعومة بالحجج الفعلية والنقلية في الرد على هؤلاء [٣].

وباختصار، فقد كانت إقامته لديه أشبه بفترة تدريب أمضاها تحت إشرافه، وفي رعايته، حتى اشتد عوده، وأصبحت لديه القدرة لأن يشق طريقاً جديداً، يحمل فيها راية الدعوة إلى الله، هؤلاء الثلاثة هم الذين أشار إليهم اليونيني من شيوخ عبد السلام بن غانم.

أما عن تلاميذه لم تشر أي من كتب التراجم التي وقفت عليها إلى تلاميذه بالرغم من سعة علمه واطلاعه ومكانته العلمية في عصره سواءً

---

([١]) المرجع السابق (٤ / ١٤).

([٢]) البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٢٧١).

([٣]) المرجع السابق، (٢٧٢/١٣).

في مصر أو الشام التي أشار اليونيني إليها بقوله " كان يتردد إلى القدس لزيارة والده وأهله، ويتردد من القدس إلى دمشق، فيجلس بها في الجامع الأموي، ويحضر مجلسه جماعة من العلماء والفضلاء والزهاد، وغيرهم، ويستحسنون كلامه، وينتفعون به " [1].

## سادساً: مكانته العلمية:

من خلال ما سبق يمكن القول إن الشيخ عبد السلام كان مرشداً للعامة، وللخاصة معاً، فرواد مجلسه كان منهم العلماء والفضلاء والزهاد، ولذا فقد كان حديثه – في معظم خطبه وأشعاره ومؤلفاته – حديث خاصة، فهو يزخر بمعاني الحب والقرب الإلهي، وشرح الأحوال الروحية السامية.

ووعظه كان تهذيباً راقياً للنفوس التي تطمح إلى الأعالي، وتنظر إلى العالم العلوي نظرة اشتياق وتشوق، ولم يكن وعظ عامةٍ وحسب ليقصر على الأمر بالطاعات، والحض على الفرائض، واجتناب المعاصي والموبقات.

وهكذا سارت شهرة المقدسي في البلاد، وانتقل صيته من قطر إلى قطر في الشام ومصر، ولم يقف عند حدود مصر والشام بل تعداهما إلى الأقطار العربية الأخرى، وهذا اليونيني يصف لنا خطبة من خطب المقدسي – في أواخر أيامه – وما جرى في ذلك المجلس، يقول حكى الشيخ شرف

---

([1]) ذيل مرآة الزمان: لليونيني (٤ / ١٤).

**الدين، أبو العباس، أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء – الفزاري [١] – رحمه الله – قال:**

**حججت في سنة خمس وسبعين وستمائة، واجتمع في الحج من علماء الأقطار: ابن العجيل من اليمن[٢] ، وتقي الدين ابن دقيق العبد[٣] من الديار المصرية، والشيخ تاج الدين الفزاري، من الشام، وغيرهم واجتمعوا في الحرم الشريف، وكان عز الدين عبد السلام المذكور قد حج من مصر، فجلس تجاه الكعبة المعظمة، وحضر أمير مكة، وغيره، فارتجل خطبة، أولها: الحمد لله ذي القدرة التي لا تضاهى، والحكمة التي لا تتناهى، والقسمة التي لا يطبق خلق أن يتعداها الذي تعزز في أزليته، فلا يعرف الأول أولاها، تسرمد في أبديته فلا يدرك الآخر أخراها، وتقدس في**

---

(١) شرف الدين، أحمد الفزاري (٦٣٠ هـ / ٧٠٥ هـ) من كبار علماء الشافعية، ولد وتوفي في دمشق، عالم بالقراءات السبع، واللغة العربية زماناً، وقرأ الحديث كان متواضعاً، صوفياً، ولي خطابة جامع دمشق. راجع البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٤١)، وشذرات الذهب: لابن العماد (٦ / ١٢).

(٢) ابن عجيل اليمني: (٦٠٨ – ٦٩٠هـ): أحمد بن موسى بن علي الدؤالي، من أكبر علماء اليمن، حميد السيرة، تقي زاهد ورع، متقن للعلوم محقق، ذو شهرة وصيت واسع. وصوفي كبير، راجع: مرآة الجنان لليافعي (٤ / ٢٠٩ – ٢١٠) مؤسسة بيروت – لبنان، ط الثانية ١٣٩٠ هـ / ١٩٨٠ م.

(٣) تقي الدين، محمد بن علي (٦٢٥ – ٧٠٢ هـ): يعرف بابن دقيق العبد، قاضٍ، من أكابر العلماء بالأصول، فقيه شافعي، قيل: إنه بلغ درجة الاجتهاد. مولده ووفاته في مصر. ولي قضاء الديار المصرية سنة / ٦٩٥، كان مع غزارة علمه ظريفاً، له أشعار وأخبار، وله تصانيف كثيرة في العلوم الشرعية ، راجع شذرات الذهب لابن العماد (٦ / ٥).

**أحديته، فلا تتخيل العقول حلاها، كيف تعرفه العقول وقد عقلها عن بلوغ مناها؟**

**وكيف تنكره النفوس وقد ألهمها فجورها وتقواها؟ ... فهي التي هاجر منها الحبيب، ما هجرها وما قلاها، وما انقلب إلى قبلة سواها، حتى أنزل عليه جبريل بآيات تلاها ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾[1]. ثم أنشد أبياتاً أشاد فيها بمآثر بيت الله الحرام، وتحدث عن أسرار الحج وشعائره، قال اليونيني متابعاً: (وسئل عن السماع فأجاب بكلام طويل، ليس هذا موضع ذكره) [2].**

**هذا نموذج من خطب المقدسي ومجالسه، وقد آثرت أن أقدم صورة كاملة عن المجلس، لما له من أهمية، وذلك من عدة أوجه:**

**إن أولئك العلماء، الذين حضروا المجلس، هم سادة الأقطار الإسلامية، علما وفضلاً ومكانة، في تلك الأيام، وإن جلوسهم – من المقدسي – مجلس التلميذ من أستاذه، والمريد من شيخه، لهو أبلغ دليل على المرتبة العلمية العظيمة التي تبوأها المقدسي إذ ذاك، ولا ريب في أن هذا يدل على رسوخه في العلم، وتقدمه فيه.**

**فالمقدسي قد شارف على الانفتاح بدعوته، وتوسيع رقعة نشاطه خارج مصر والشام، ولكن عاجلته المنية في سن مبكر ولم يبلغ الخمسين عاماً، ولو أوتي فسحة في الأجل لكان له شأن آخر، ولا عجب في ذلك وقد رأينا**

---

([1]) البقرة: الآية ١٤٤.

([2]) المجلس بتمامه مع الخطبة والأشعار في: ذيل مرآة الزمان لليونيني (٤ / ١٩ – ٢٢).

أقطاب العالم الإسلامي يلتفون حوله، ويحضرون مجلسه، بآذان صاغية، وقلوب يقظة، فهو بحر في العلم أينما حل فاض.

## سابعاً: مذهبــه العقـدي:

لم أجد فيما طالعت من مؤلفات الإمام المقدسي نصاً يصرح بنسبته إلى فرقة من الفرق العقدية، وهو الأمر الذي أسلمني إلى تلمس اتجاهه العقدي من خلال مؤلفاته.

فمن خلال مطالعتي لمؤلفات الشيخ عبد السلام بن غانم ظهر أنه – رحمه الله – كان يعتنق مذهب أهل السنة، وخاصة وأنه كما يقول اليونيني: " قد توجه منذ نعومة أظافره، وجهة العلم، فانكب بكليته على الكتاب العزيز، ونهل من علومه، ما شاء الله له أن ينهل، ثم ثابر على طلب العلم، والتفقه في الدين، حتى حصل على ثقافة دينية جيدة – بمقياس ذلك الزمان – ... ولا ريب في أنه حصل على مقدار لا بأس به، من العلوم الشرعية المتنوعة، من فقه وتفسير وحديث، وما إلى ذلك " [١].

والدليل على ذلك: أنه رغم اتخاذه التصوف طريقاً للقرب من الله – تعالى – إلا أنه دائماً كان حريصاً على نفي كل ما يخالف مذهب أهل السنة من أقوال ومذاهب ألصقها البعض بطريق التصوف، إما عن سوء فهم لكلام الصوفية، أو عن سوء نية، أو اعتماداً من هذا البعض على كلام بعض أدعياء التصوف، أو اعتماداً على ما دُسّ على أهل الطريق، فنراه مثلاً يصحح القول في قضية الحلول والاتحاد ويرد على من قال به، فيقول في نفي الحلول والاتحاد: " ثم اعلم أن الله – تعالى – لا يوصف

---

([١]) ذيل مرآة الزمان لليونيني (٤ / ١٤).

**في شيء من ذلك مما أشرنا إليه في الأحاديث ولا في غيرها بحلول ولا نزول ولا اتصال ولا انفصال ولا ملامسة ولا مجانسة فاحذر أن يختلج في فهمك أو وهمك شيء من ذلك فتهوى في المهالك، والله – تعالى – بخلاف ذلك ... إن خطر ببالك وتصور في خيالك قرب مسافة ومشي جارحة ونزول انتقال فأنت لاشك هالك والله – تعالى – بخلاف ذلك "[1]، ولقد ذهب إلى مثل ذلك في كتابه (الشجرة والفصول) أيضاً فقال :**

**" ليس في سواه من ذاته شيء، ولا في ذاته من سواه شيء، ليس في ذات الحق إلا الحق، ولا في ذوات الخلق إلا الخلق، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء تصفه بما وصف به نفسه: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [2].**

**قربه وصفته ونعته لا قرب ملامسة ولا مماسة ولا مجالسة ولا مجانسة، ولا ممازجة ولا مزاوجة ولا مجاورة، ولا محاذاة " [3].**

**فابن غانم – رحمه الله – كثيراً ما يتخذ طريقة الأشاعرة في تناول مسائل العقائد، ففي قضية الصفات نراه يقول: " وصفات الله – تعالى – على قسمين: نفي وإثبات، ينفي عنه ما يستحيل عليه كالشبيه والمثيل**

---

([1]) حل الرموز ومفاتيح الكنوز: للشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي، لوحة رقم (٣٧)، دار الكتب المصرية تحت رقم (١٢٠١) تصوف طلعت، ميكروفيلم رقم (٧٠٤٠) تاريخ النسخ ١٠٧٢هـ.

([2]) سورة الشورى: الآية ١١.

([3]) الشجرة والفصول: للشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي لوحة (٢٥) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١٧٧) تصوف حليم عربي، ميكروفيلم رقم (٢٥٨٢).

**والشريك .... ويثبت له ما يجب له كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وما شابه ذلك [١].**

**ففي هذا النص نراه يفرق بين الصفات السلبية، والتى تسلب عن الله تعالى ما لا يليق به[٢] والصفات الثبوتية الوجودية التي يطلق عليها الأشاعرة صفات المعاني والتي هي عندهم سبع صفات، ونراه يذكر أمثلة للصفات الثبوتية هي بعينها صفات المعاني السبع عند الأشاعرة عدا صفة الحياة.**

**ونراه يقول عن صفة الكلام: وأنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام قديم أزلي لا محدث ولا مخلوق ولا منفصل عنه ولا منقطع ... لا يشبه كلامه كلام المخلوقات، ولا بلسان ولا جارحة ولا أدوات، تنزه في جميع الصفات عن عيون الممكنات وتقدست عينه عن المقلة ... وكلامه عن النقطة والشكلة " [٣]، وهذا الكلام قريب من قول الأشاعرة: إن كلامه تعالى ليس بصوت ولا بحرف منزه عن التقديم والتأخير والترتيب [٤].**

**وفي قضية التأويل وهي من أهم القضايا التي يفارق فيها متأخروا الأشاعرة بعض الطوائف الإسلامية وخاصة بعض أتباع المذهب الحنبلي الذين يثبتون ما أثبته النص ويرفضون التأويل نرى ابن غانم ينهج أيضاً نهج متأخري الأشاعرة، فعند الأحاديث التي تثبت القرب والبعد والنزول**

---

(١) حل الرموز ومفاتيح الكنوز: للشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي لوحة (٢١).

(٢)انظر: التفتازاني (سعد الدين)، شرح المقاصد (٢٢/٣).

(٣) الشجرة والفصول لعبد السلام بن غانم المقدسي لوحة (٣١).

(٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد الجويني، صـ٤٦، وما بعدها، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.

**والصعود، وأشباه ذلك نراه يؤول: القرب بأنه قرب الصفة فيقول: " إن معنى قوله تعالى: ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾[1] قالوا: يعني بعلمه"[2].**

**وقال في الاستواء: "واعلم أنه مستو على عرشه باختياره لنفسه، واستواؤه متصل بذاته، لا متصل بعرشه، ولا ملابساً له، ولا ملامساً، ولا مستقراً عليه، ولا جالسا؛ لأن الرحمن اسمه، والاستواء نعته، وصفته متصلة بذاته، وأما عرشه فهو من خلقه لا يتصل إليه بسبب، ولا ينضاف إليه بنسب، إذا سمعت الرحمن على العرش استوى، فاعلم أن العرش بالرحمن استوى "[3] وهذا تأويل للاستواء، أي أن العرش هو الذي استوى[4].**

**ويقول في شأن ما جاء في السنة من أن الله (خلق آدم على صورته)[5]"ومن ههنا يظهر لك سر قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله خلق آدم على صورته)، وذلك أن الصورة اسم مشترك يطلق على ترتيب المعاني التي ليست محسوسة؛ فإن للمعاني أيضا ترتيبا وتركيبا، ويسمى ذلك**

---

(1) الحديد: الآية ٤.

(2) الشجرة والفصول: لعبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي لوحة (٨).

(3) المرجع السابق لوحة (٣٠).

(4) انظر: أصول الدين، البغدادي، صـ١١٢وما بعدها، ط: مطبعة الدولة، إستانبول، ط: أولى ١٣٤٦هـ١٩٢٨م.

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم بلفظه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن ضرب الوجه، راجع صحيح مسلم، (٤ / ٢٠١٧)، حديث رقم (٢٦١٢)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسي البابي الحلبي وشركاه، ط الأولي ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥

صورة، فنقول: صورة المسألة كذا، أو صورة الواقعة كذا، والمراد في هذا الحديث صورة المعنى... ولا يجوز أن يقال: أراد به صورة جسما نية أو بشرية... وأما الصفات فقد خلقه حيا قادرا مدبرا سميعا بصيرا، والله سبحانه وتعالى كذلك...

وقيل: إن الحق سبحانه وتعالى لما أخرج آدم وإبليس والطاووس والحية، وبقي آدم على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها أولا، ولم يغير خلقه كما غير خلق إبليس والطاووس والحية.

وقيل إن هذه الإضافة إضافة تخصيص وتشريف، لا إضافة صفة كما قال تعالى (ونفخت فيه من روحي)"[١] فابن غانم يتخذ طريقة الأشاعرة في حمل هذا الحديث على غير ما حمله عليه الحنابلة من حيث أثبتوه من جملة الصفات الخبرية، وكلامه تجده متطابقا مع ما كتبه جمهور متأخري الأشاعرة فـ(الرازي) يبين أن من معاني الصورة الصفة، وعليه فيمكن أن يحمل معنى (إن الله خلق آدم على صورته) على أن المقصود بالصورة الصفة من السمع والبصر والعلم والقدرة، يقول (الرازي) في (أساس التقديس):

" قد تذكر الصورة ويراد بها الصفة، يقال: شرحت له صورة هذه الواقعة، وذكرت له صورة هذه المسألة، والمراد من الصورة في كل هذه المواضع: الصفة" [٢].

---

(١)الشجرة والفصول: لعبد السلام بن غانم المقدسي لوحة ٨٥، ٨٦.

(٢)أساس التقديس، الرازي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، ط: أولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص٩٩

**وكذلك أشار الجويني إلى أن من معاني الصورة الصفة حيث قال في بيان وجوه تأويل هذا الحديث: " ويتجه وجه آخر في التأويل ذكره بعض الأئمة، وذلك أنه قال: الصورة تطلق والمراد بها الصفة، ومنه قول القائل إذا استبصر واستوصف: اذكر لي صورة الحال، والمراد صفتها، وظهور ذلك يغني عن الاستشهاد فيه، فعنى الحديث إذاً: أن الله تعالى خصص آدم بعلوم لم يثبتها لأحد قبله من خلقه، فكأنه من حيث خصصه بعلم لا يساهم فيه، خلقه على صفته اسماً وإطلاقاً، والرب تعالى يتقدس عن مشابهة خلقه، وهذا قريب إذا ألطفت فيه القول"(١).**

**والغرض من الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام لم يدر في أطوار الخلق، بل أبدعه الله على صورته" (٢).**

**وغير خاف أوجه التشابه بين ما ذكره ابن غانم في تخريج معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق آدم على صورته) وبين تخريجات الأشاعرة التي عرضنا نماذج منها.**

**ثم إنه يذكر أن المذهب الحق هو التوسط بين القول بالجبر والاختيار، ويعيب على الجبرية والمعتزلة جميعا، فيقول" فقوم علقوا بالأمل فضلوا، وقوم علقوا بالإرادة فزلوا، وقوم جمعوا بين الأمر والإرادة فهدوا إلى صراط مستقيم فاستقلوا:**

---

(١) الشامل، الجويني ص ٣٢٣، ٣٢٤.ط دار الكتب العلمية– بيروت.

(٢)الإرشاد، الجويني ص٧٠، تحقيق أسعد تميم، ط مؤسسة الكثيب الثقافية الطبعة الثالثة ١٩٩٩ م.

**فأما الذين تمسكوا بالأمر أضافوا الفعل إلى أنفسهم تقديراً وفعلاً، فقالوا: إن الله لم يخلق الشر ولم يقدره ولم يرده، وإنما هو من خلق أنفسنا وفعلها، ليس لله فيه إرادة، وزعموا بجهلهم أن ذلك تنزيه للباري سبحانه وتعالى عن الرذائل والقبائح، وأن يجعلها لعبده ويقدرها عليه، فعموا بما زعموا، وضلوا من حيث نزهوا فأشركوا بالله؛ إذ شاركوا الله في فعله وخلقه وتقديره، ولزمهم في اعتقادهم أن يكون عاجزا في حكمه وقضائه عن كثير من خلقه؛ لأن المعصية أكثر من الطاعة، والشر أعم من الخير" [(١)]، وجعل إبليس متكلماً بلسان الجبرية، فقال: "فكان أول من زلق في مزالقها إبليس اللعين، لما هوى في هوة المخالفة ظن أن اعتماده على عكاز المشيئة تنجيه، فقال: ﴿بما أغويتني﴾ [(٢)]، ثم ألقى عكاز المشيئة، وتعلق بحبال الأمر فقال: ﴿لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ [(٣)]، ففي الأول قطع زيف العبودية بإحالتها عن المشيئة فسن مذهب الجبرية، وعمي عن الطريق القويم والصراط المستقيم، وهو طريق التمسك بطرفي الأمر والإرادة، كما فعل آدم، قال ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾"[(٤)]**

---

(١) تفليس إبليس لابن غانم المقدسي، ص٢٥، تحقيق محمد إبراهيم سليم، الناشر مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة ط ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.

(٢) الحجر: الآية ٣٩.

(٣) الحجر: الآية ٣٩.

(٤) الأعراف: الآية ٢٣، تفليس إبليس، ص ٢٨.

وفيما يتعلق بالنبوة يعتقد عصمة الأنبياء، ويرد ما نسب إلى الأنبياء من أمور تخرم العصمة، ويخرجها على غير وجه العصيان، أو يرد الإسرائيليات التي نسبت إلى الأنبياء أشباه هذه المعاصي، فيقول في طي حديثه عن قصة داوود –عليه السلام– "ليس في قصة داوود عليه السلام خبر يثبت –يعني ما نسب إلى داوود كذبا من قتله أوريا ليتزوج امرأته– ولا يظن فيه محبة قتل مسلم، وإنما درجة الأنبياء عليهم السلام في الرفعة، والمعرفة بالله، وسنته في عباده، وعظيم سلطانهم، وقربانهم منه.

وأنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده، ويتجاوز عمن دونهم لقلة مبالاته بهم في أضعاف ذلك، فهي ذنوب بالإضافة إلى كمال طاعتهم... ومن هنا يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال بعض المتكلمين: زلات الأنبياء في الظاهر زلات، وفي الحقيقة كرامات وزلف، وقربى؛ لأنه إنما ابتلاهم الله بذلك ليكون ذلك زيادة لهم في درجاتهم، كما أن آدم ما لبس خلقة (اصطفيتك) حتى قال: (تبت إليك)، وما وصل داوود عليه السلام إلى قربة ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [1] حتى نودي ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر﴾ [2]

وقال في الوعد والوعيد: "واعلم أنه وافٍ بعهده، صادق في وعده ليس لعهده نكث ولا في وعده خلف، ولا يلزمه إثبات الوعيد على من توعده بل المشيئة إليه سبحانه وتعالى إن شاء عذب وإن شاء عفا، وإن شاء أثبت

---

([1]) ص: الآية ٢٥

([2])الشجرة والفصول: لعبد السلام بن غانم المقدسي لوحة (٤٢، ٤٣). ص: الآية ٢٤.

**وإن شاء نفى، ولو رحم سبحانه وتعالى أهل السماوات والأرض لكان منه فضلاً، ولو عذب أهل السماوات والأرض لكان منه عدلاً.**

**فعذابه عدل وثوابه فضل، إن شاء أعطى، وإن شاء منع، وإن شاء خفض، وإن شاء رفع، ولا يقال لم صنع ؟، قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾" [١]**

**فنراه يقول بوجوب إنجاز الوعد فضلاً منه سبحانه، وبجواز خلف الوعيد، وهو عين مذهب الأشاعرة خلافاً للمعتزلة القائلين بوجوب إنجاز الوعد والوعيد [٢].**

**ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الشيخ عبد السلام بن غانم – رحمه الله – كان يتخذ التصوف طريقاً له مع ميله إلى طريقة الأشاعرة الكلامية.**

---

([١]) الشجرة والفصول: لعبد السلام بن غانم المقدسي لوحة (٣٠)، الأنبياء: الآية / ٢٣

([٢]) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، صـ٤٣٧ وما بعدها، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: أولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

## ثامناً: مؤلفـــات المقدســي:

### ١. تفليس إبليس:

وهو عبارة عن مناظرة لـه مـع إبليس، ذكره اليونيني في ذيل مرآة الزمان، ضمن مؤلفات المقدسي، فقال: (تفليس إبليس بما معه مجلد) [١]، وذكره حاجي خليفة فقال: (تفليس إبليس: للشيخ عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي ... الخ) [٢].

وقد جاء اسم الكتاب على بعض النسخ (الحديث النفيس في تفليس إبليس) مما أوهم حاجي بأن هذا كتاب آخر غير تفليس إبليس فذكره في موضع آخر[٣]. ونقل عنه البغدادي هذا الخطأ [٤].

ويوجد من هذا الكتاب عدة نسخ في دار الكتب المصرية، وهذه المناظرة محور النقاش بينهما في مسألة من أعقد المسائل في علم العقيدة هي (قضية القضاء والقدر).

### ٢. حل الرموز ومفاتيح الكنوز:

وهذا الكتاب من أوسع كتب المقدسي انتشاراً، وقد ذكر بروكلمان نسخاً خطية منه في أكثر من خمس وعشرين مكتبة من مكتبات العالم [٥]، في

---

(١) ذيل مرآة الزمان لليونيني (٤ / ٢٦).

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١ / ٤٦٣).

(٣) المرجع السابق (١ / ٦٤٤).

(٤) هدية العارفين للبغدادي (٥ / ٥٧١).

(٥) تاريخ الأدب العربي بروكلمان (٤ / ٤٣٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

**دار الكتب المصرية أحصيت له سبع عشرة نسخة، وفي مكتبة الأزهر تسع نسخ، وفي معهد المخطوطات العربية نسخة واحدة حديثة، وغير ذلك.**

**ويبدو أن بعض الناسخين لم يفرقوا بين عبد السلام بن غانم المقدسي وبين العز بن عبد السلام (سلطان العلماء)، فوضع اسم الأخير على الكتاب.**

**وقد ذكره اليونيني في مؤلفات عبد السلام ابن غانم المقدسي، فقال: (حل الرموز – مجلد) [١]، وذكره حاجي خليفة باسم " حل الرموز وكشف الكنوز "[٢]، وذكره البغدادي باسم " حل الرموز ومفاتيح الكنوز "[٣].**

**وقد ناقش الكتاب العديد من المسائل والمشكلات الصوفية، وشرح الكثير من مصطلحاتهم وأحوالهم ومقاماتهم بأسلوب شائق جميل، يمتاز بالوضوح وسهولة المآخذ، والبعد عن الغموض والتعقيد.**

**٣. <u>الروض الأنيق والوعظ الرشيق:</u>**

**ذكره بروكلمان باسم (الروض الأنيق في الوعظ الرشيق)، وأشار إلى نسختين منه: إحداهما في " الإسكوريال "، والثانية في " برلين " [٤].**

---

(١) ذيل مرآة الزمان: لليونيني (٤ / ٢٤).

(٢) كشف الظنون: لحاجي خليفة (١ / ٤٦٣).

(٣) هدية العارفين: للبغدادي (٥ / ٥٧١).

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، (٤ / ٤٣٤) نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، الناشر دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، ط/ السابعة ١٩٧٧م.

**وذكره البغدادي بعنوان (الروض الأنيق في الوعظ الرشيق) [١].**

**أما اليونيني فقد في تصانيف المقدسي (وعظ – مجلدان) [٢].**

**والكتاب عبارة عن مجالس وعظيه، يرد فيها المؤلف أنشودتي (الترغيب والترهيب) المألوفتين لدى عموم الواعظين ولكن المقدسي، ببراعته الأدبية، بما أوتي من سحر البيان، استطاع أن يعطي تلك الأناشيد أنغاماً خاصة، وأن يضفي عليها ألواناً زاهية خلابة، فزادها سحراً وجاذبية، وملأها مرحاً وحيوية.**

**٤ . الشجرة والفصول في الوعظ:**

**ويتحدث في هذا المخطوط عن أصل شجرة الكون وهي عنده الغصن المحمدي والنور الأحمدي، والذي خُلِقَ قبل هذا على ما جاء في الرواية ( أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ) [٣]، كما ذكر فيه عن أن الإيمان شجرة أصلها القلب وأغصانها عشرة: التوبة، المجاهدة، الصبر، الشكر، الذكر، الخوف، الرجاء، التقوى، التوكل، الرضا [٤]، ويتحدث فيه عن عصمة الأنبياء، وما ذكر من الآيات وما ورد من الروايات التي ربما توهم خلاف العصمة، كما تحدث عن الفتنة وعن محنة المحبين، لأن الإيمان دائماً ما يقترن بالفتنة، كما أفرد في نهاية المخطوط بعض الفصول لتفسير بعض آيات القرآن الكريم، والمخطوط في دار الكتب المصرية.**

---

(١) هداية العارفين للبغدادي (٥ / ٥٧١).

(٢) ذيل مرآة الزمان لليونيني (٤ / ٢٦).

(٣) الشجرة والفصول: عبد السلام بن غانم المقدسي لوحة / ٨.

(٤) المرجع السابق، لوحة رقم ٣٣ – ٣٤.

٥- شرح حال الأولياء ومناقب الأتقياء:

**ذكره بروكلمان بهذا الاسم، وأشار إلى وجود نسخ خطية منه في: برلين، وباريس، ولندن [١].**

**وأما عن مضمون الكتاب، فإنه يتألف من ٢٢ فصلاً، تحدث في عشرين فصلاً منها عن أحوال مجموعة من الصحابة والتابعين وكبار الصوفية، ثم ختم الكتاب بفصلين تحدث فيهما عن الحب الإلهي وأسراره [٢]، والمخطوط في دار الكتب المصرية.**

٦. طرق الوسائل وتمكين السائل:

**تحدث فيه عن زيادة الإيمان ونقصه، كما فرق فيه بين الشريعة والحقيقة وأشار إلى أن ظاهر الحكمة بأيدي علماء الظاهر وباطنها بأيدي علماء الباطن [٣]، وهو كجملة مؤلفاته في التصوف ركز فيه على معاني المحبة والمجاهدة وأحوال أهل الطريق، وهو يتحدث عن هذه المعاني في طي ما جاء في الشرع من أحاديث وآيات، أخذ منها أهل الطريق دلائل وإشارات وعليها بنوا أقوالهم، واعتذروا بها عن أحوالهم من مثل من ذكرني في نفسه [٤]، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية.**

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، (٤ / ٤٣٤).

(٢) راجع: ديوان المقدسي (عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي)، تحقيق ماهر محمد عبد القادر، صادر عن العهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، عام ٢٠٠١ م، هامش ص٣٧

(٣) طرق الوسائل وتمكين السائل: عبد السلام بن غانم المقدسي لوحة / ٨.

(٤) طرق الوسائل وتمكين السائل: عبد السلام بن غانم المقدسي لوحه/ ١٣.

٧- **الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية:**

**ذكره البغدادي في هدية العارفين بهذا الاسم، فقال: (من تصانيفه ... الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية) [١].**

**وذكر بروكلمان نسخة منه في برلين بهذا الاسم أيضاً [٢]، وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية والكتاب لون متميز من ألوان الأدب الرمزي، فعلى حين اتخذ المقدسي من الطبيعة مسرحاً للمناظرة في كتابه " كشف الأسرار " ونصب من الطيور والحيوانات والأزهار شخوصاً تنطق بالحكمة الإلهية الماثلة في الكائنات فهو يغدو في " الفتوحات الغيبية " أكثر تجريداً، فيرتقي به الخيال إلى عالم المعنويات، ويقيم مسرحاً بديعاً، متخذاً شخوص هذه المرة من القوى المعنوية الكامنة في النفس البشرية، فيجسد الصراعات التي تقوم في داخل الإنسان، بين عناصر الخير وعناصر الشر، بأسلوب شائق أخاذ.**

٨- **كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار:**

**ذكره بروكلمان، وأشار إلى وجود خمس عشرة نسخة في مكتبات العالم المختلفة [٣]، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية جارسان دي تاس قال: د/ عبد الرحمن بدوى في ترجمته: (وقد بدأ سيرته العلمية بنشر وترجمة رسالة صغيرة في التصوف هي " كشف الأسرار، لعز الدين بن غانم المقدسي "، حقق فيه النص وترجمه إلى الفرنسية وزوده بتعليقات**

---

(١) هدية العارفين للبغدادي (٥ / ٥٧١).

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٤ / ٤٣٤).

(٣) الأدب العربي: لبروكلمان (٤ / ٤٣٤ – ٤٣٥) .

**مستفيضة على طريقة أستاذه " سلفستر دي ساي " وعنوانه بالفرنسية** Les oisea x at les fleurs [١]**، وقد أعيد طبع هذه الترجمة في باريس أيضاً عام ١٨٧٦م [٢] وتوجد نسخة في دار الكتب المصرية.**

**وقد ذكر اليونيني في مؤلفات المقدسي كتباً أخرى لا نعرف مصيرها مثل:**

**(مجموعة خطب، ذكر اليونيني وقال (خطب منبرية – مجلد)** [٣].

**تفسير القرآن العظيم، مجلد.**

**شرح أحاديث المصطفى، مجلد.**

**مختصر الشفاء للقاضي عياض، مجلد.**

**ثم قال: (ومجاميع مختلفة وتفسير آيات، كل آية بمجلس يتنبه عليها ولا يخرج عن حكمها في أول المجلس إلى أخره وله غير ذلك مما أوقفه بزاوية مصر، وكفى بالله حسيباً)**[٤].

---

(١) موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ص١٦٤ ط: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ط الثالثة عام ١٩٩٣ م.

(٢) راجع: دائرة المعارف الإسلامية (١ / ٣٥٦) ط دار الشعب، مصر عام ١٩٦٩ م.

(٣) ذيل مرآة الزمان: اليونيني (٤ / ٢٦ – ٢٧).

(٤) نفس المرجع السابق (٤ / ٢٧).

# الفصل الثاني: موقف الشيخ عبد السلام بن غانم من التصوف

ويمكن أن نقسم التصوف إلى المراحل التالية: التصوف قبل الشيخ، والتصوف في عصر الشيخ، حتى يتضح لنا موقف الشيخ عبد السلام بن غانم من التصوف:

## المبحث الأول: التصوف قبل الشيخ عبد السلام بن غانم:

نظراً لأن التصوف في القرن الأول والثاني الهجريين كان عبارة عن حركة زهد تطورت وتحولت في أواخر القرن الثاني إلى بذرة تصوف، ونظراً لأن القرن الثالث للهجرة هو القرن الذي اعتنى فيه الصوفية بالحديث في دقائق أحوال النفس والسلوك كما يقول بعض الباحثين، لذا سأبدأ بالحديث عن القرن الثالث والرابع الهجريين.

### أ ـ التصوف في القرن الثالث والرابع:

لقد كان للتصوف في القرن الثالث والرابع اتجاهان واضحان:

الاتجاه الأول: يمثله صوفية معتدلون في آرائهم، يربطون بين تصوفهم وبين الكتاب والسنة ربطا قوياً، وإن شئت قلت: يزنون تصوفهم دائماً بميزان الشريعة وكان بعضهم يغلب على تصوفه الطابع الأخلاقي.

ومن أمثلة هؤلاء: أبو سليمان الداراني (نسبة إلى داران إحدى مدن دمشق) وقد توفى سنة (٢١٥هـ)، وذو النون المصري المتوفى

**سنة(٢٤٥هـ)، الذي ربط بين المعرفة والشريعة [١]، فقال علامة العارف ثلاثة: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحلم، ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل على هتك أستار محارم الله تعالى [٢].**

**ومن أمثلة هذا الاتجاه أيضاً: الجنيد المتوفى سنة (٢٩٧ أو٢٩٨هـ) الذي استطاع بجهوده أن يكتسب التصوف مشروعية الوجود في بيان حقيقته ونفي الغلو عنه، وإزالة التعارض الموهوم بين الحقيقة والشريعة[٣]**

**وروى عنه القشيري: أنه قال "الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول . عليه الصلاة والسلام . " [٤]، كما روي عنه أنه قال:" من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة ...." [٥]**

---

(١) مدخل إلى التصوف: د. أبوا لوفا التفتا زاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع / القاهرة، ط الثالثة ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م، ص ١٠٠ــ ١٠١

(٢)الرسالة القشيرية: للقشيري، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف الناشر دار الكتب الحديثة. القاهرة. ط الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م، (٢ /٦٠٨.٦٠٩)

(٣) دراسات في التصوف الإسلامي: أ.د/ حسن الشافعي، أ.د/عبد الحميد مدكور، للدكتور: حسن الشافعي، دار الهاني / القاهرة ،١٢٤٨هـ/ ٢٠٠٧ م، ص١١٣.

(٤)الرسالة القشيرية: القشيري (١ / ١٠٦)، طبقات الصوفية للسلمي (أبو عبد الرحمن السلمي)، تحقيق نور الدين شريبة من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ومكتبة الهلال ببيروت، ط الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ص٥٠

(٥) الرسالة القشيرية: القشيري (١ /١٠٧).

**وبهذا النهج الواضح كما يقول الدكتور حسن الشافعي . وتلك الشخصية القوية اكتسب الجنيد تعاطف العلماء والمثقفين فضلاً عن العوام مع التصوف، وفي الوقت نفسه ابتعد عن الاتجاهات المتطرفة التي ذر قرنها، وبدت بوادرها، ويبدو ذلك جلياً في موقفه من الحلاج [١].**

**<u>الاتجاه الثاني:</u> يمثله صوفية تكلموا عن مسائل لم يتحدث عنها أصحاب الاتجاه الأول، وقد نطقوا بعبارات غريبة عرفت بالشطحيات [٢]، وكان تصوفهم لا يخلو من المنازع الميتافيزيقية في صورة بسيطة [٣].**

**ومن أمثلة هذا الاتجاه: أبو يزيد البسطامي [٤]، وقد اختلفت الآراء فيه اختلافاً بيناً، فقد رويت عنه أقوال من قبيل الشطحات، وربما دست عليه بعض الأقوال. [٥]**

---

(١) دراسات في التصوف الإسلامي: أ.د/ حسن الشافعي، أ.د/عبد الحميد مد كور، ص١١٣.

(٢) الشطح: كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، وهو من زلات المحققين، فإنه دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهي. التعريفات، الجرجاني، صـ ١١٢.

(٣) مدخل إلى التصوف: أبو الوفا التفتازاني، ص١١٨.

(٤)مدخل إلى التصوف: أبو الوفا التفتازاني، ص ١١٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٨، وقد ذكر بالهامش أن ممن ذهب إلي ذلك نيكولسن ،ونقل عن الهروي قوله: (إن كثيراً من الأكاذيب قد انتحل باسم أبي يزيد، مثل قوله: " صعدت إلي السماء وضربت قبتي بإزاء العرش " وهو القول الذي بنوا عليه قصة معراج أبي يزيد التي يقصها العطار ـ راجع: في التصوف الإسلامي وتاريخه، نيكولسن ص٢٣، نقله إلي العربية أبو العلا عفيفي.

**بالرغم مما ذكر حول أبي يزيد البسطامي من إنكار شديد لبعض الألفاظ التي صدرت عنه إلا أن بعض الصوفية المعتدلين من أمثال السلمي، والقشيري، والطوسي قد ذكروا له: أقوالاً في التمسك بالكتاب والسنة، بل إن الطوسي دافع عنه في اللمع وذكر أن ما نسب إليه من أقوال مستشنعة الظاهر لها تأويلات حسنة عند بعض الصوفية، وذكر منهم الجنيد فقال:**

**" قد فسر الجنيد رحمه الله شيئاً من شطحات أبي يزيد رحمه الله، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير ....، قال الجنيد رحمه الله: الحكايات عن أبي يزيد رحمه الله مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون؛ وذلك، والله أعلم، لاختلاف الأقاويل الجارية عليه فيها، ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها؛ فكلٌ يحكي عنه ما ضبط من قوله ويؤدي ما سمع من تفصيل مواطنه. (١)**

**ثم ذكر الطوسي ما انتهي إليه الجنيد من رأي في أبي يزيد قال: إنه له حالة قل من يفهمها، أو يعبر عنها، فقال: "قال الجنيد رحمه الله: ثم إني رأيت الغاية القصوى من حاله، يعني من حال أبي يزيد رحمه الله، حالاً قل من يفهمها عنه أو يعبر عنها عند استماعها؛ لأنه لا يحتمله إلا من عرف معناه وأدرك مبتغاه، ومن لم تكن هذه هيئته عند استماعه فذلك كله عنده مردود "(٢)، ثم ذكر الطوسي بعض تفسيرات الجنيد لأقوال أبي يزيد**

---

(١) اللمع: لأبي نصر سراج الدين الطوسي، ص٤٥٩، تحقيق د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة / القاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، ط/عام ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م

(٢) اللمع، الطوسي، ص ٤٥٩.

فقال: ( ذكر عن أبي يزيد أنه قال: "رفعني مرةً فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد، إن خلقي يحبون أن يروك " .

فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا.

فإن صح عنه، ذلك فقد قال الجنيد، رحمه الله، في كتاب تفسيره لكلام أبي يزيد، رحمه الله: هذا كلام من لم يُلبسه حقائق وجد التفريد في كمال حق التوحيد؛ فيكون مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سأله وسؤاله لذلك يدل على أنه مقارب لما هناك، وليس المقارب للمكان بكائن فيه على الإمكان والاستمكان.

والذي يمكن أن نخلص إليه: أن من أهم الخصائص العامة للتصوف في هذه الفترة : أنه قد اكتملت فيه عناصر التصوف بمعناه الدقيق، فقد تحدث صوفية هذه الفترة عن الأخلاق، والسلوك والترقي فيه، والمعرفة الذوقية المباشرة بالله، والفناء في الحقيقة المطلقة وغير ذلك من المسائل، كما لجؤوا إلي الرمزية في التعبير عن حقائق التصوف...[1] كما أن هذه الفترة قد تميزت ببعض السمات مثل : غلبة التأمل والتحليل النفسي ، وبدأ ظهور النظريات والأفكار التربوية والروحية : كالمحبة والولاية، والفناء، والنور المحمدي، وتعيين معالم الطريق الروحي من مقامات ومنازل وما يرتبط بها من أحوال، ونحو ذلك من النظريات الروحية والتربوية. [2]

---

([1]) مدخل إلى التصوف: د. أبو الوفا التفتازاني، ص ١١٢.

([2]) دراسات في التصوف الإسلامي: أ. د / حسن الشافعي، أ. د / عبد الحميد مدكور، ص١١٢.

**ولذا يمكن القول إن تصوف هذه الفترة كان تصوفاً إسلامياً ناضجاً اكتملت له كل مقوماته، وهذا ما أشار إلي الدكتور أبو العلا عفيفي بقوله : "دخل التصوف بعد ذلك (أي بعد أن كان زهداً) في دور جديد هو دور المواجد والكشف والأذواق، ويقع هذا الدور في القرنين الثالث والرابع اللذين يمثلان العصر الذهبي للتصوف الإسلامي في أرقى وأصفى مراتبه "[١] .ولكن يجب أن نلاحظ أن هذه الخصائص التي كانت تنطبق على تصوف هذه الفترة بوجه عام، قد لا تنطبق كلها على تصوف صوفي معين في هذه الفترة، فإن بعض صوفيتها غلب عليهم الكلام في ناحية معينة من نواحي التصوف دون النواحي الأخرى [٢]، ولقد ظهرت في تلك الفترة عدة مدارس صوفية نبغ فيها كثير من كبار الصوفية، وهذه المدارس كانت تتلاقى عند المعالم العامة في الطريق الصوفي، وتختلف قليلا في اتجاهات وتفاصيل مذهبها.**

**ومن أهم هذه المدارس: مدرسة بغداد ومؤسسها الحارث المحاسبي المتوفى سنة٢٤٣هـ، ومدرسة مصر والشام ومؤسسها ذو النون المصري المتوفي سنة ٢٤٥هـ، ومدرسة نيسابور ومؤسسها حمدون القصار المتوفى سنة ٢٧١هـ [٣].**

**وكانت نظريات هذه المدارس تحوم حول نوعين من المسائل الصوفية وهما:**

---

(١)التصوف والثورة الروحية في الإسلام: د. أبو العلا عفيفي، ص ٩٢، ط الأولي /١٩٦٣م

(٢) مدخل إلى التصوف: د. أبو الوفا التفتازاني، ص١٤٠ .١٤١.

(٣) التصوف والثورة الروحية في الإسلام: د. أبو العلا عفيفي، ص ٩٤.

**١ـ التوحيد بمعناه الكلامي والصوفي، وما يتصل بذلك من مسائل المعرفة بالله والمحبة الإلهية والفناء في الله والبقاء به.**

**٢ ـ النفس وآفاتها: والأحوال والمقامات الصوفية: كالوجد والشوق والقرب والأنس والغيبة والحضور والإيثار والذكر والتوبة ورؤية الله في الدنيا والآخرة [١].**

**ب ـ التصوف في القرن الخامس:**

**رأينا فيما سبق أنه كان للتصوف في القرنين الثالث والرابع اتجاهان متميزان: أحدهما سني، يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة، والآخر شبه فلسفي، ينزع أصحابه فيه إلي الشطحيات، وينطلقون من حال الفناء إلي إعلان الاتحاد أو الحلول، ولكن مع هلال القرن الخامس أخذ أحد هذين الاتجاهين يختفي، وهو الاتجاه الثاني، وإن كان قد عاود الظهور بصورة أخرى في القرن السادس وما بعده، أما الاتجاه الأول فقد استمر بوضوح، ولعل سبب اختفاء الاتجاه الثاني في القرن الخامس هو : "غلبة مذهب أهل السنة والجماعة الكلامي الذي انتصر له أبو الحسن الأشعري على ما سواه من المذاهب، ومحاربته الغلو الذي ظهر في التصوف على يد كل من البسطامي والحلاج، وأصحاب الشطح عموماً، وكل أنواع الانحرافات الأخرى التي بدأت تظهر في ميدان التصوف "[٢] .**

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٩٤ ـ ٩٥.

(٢) مدخل إلى التصوف: د. أبو الوفا التفتازاني، ص١٤٥.

ونظراً لهذا الاتجاه الاصطلاحي الذي اتخذه التصوف في هذا القرن، والقائم على أساس من إرجاعه إلي رحاب الكتاب والسنة، صح لنا أن نطلق على التصوف في هذا العصر التصوف السني. [١]

ومن أهم رجال هذا العصر والذين كانوا لهم أعظم الأثر على تصوف هذه الفترة: القشيري، والهروي، ثم جاء من بعدهم الغزالي ونحا نحوهم، هذا بالإضافة إلى السلمي، والهجويري وغيرهم، وسنختار اثنين من رجال هذه الفترة كنموذجين للتصوف السني الذي أطلق على هذه الفترة:

الأول:" القشيري أحد الشخصيات الهامة في ذلك العصر نظراً لما كتبه عن التصوف والصوفية في القرنين الثالث والرابع. من ذوي الاتجاه السني، فحفظ بذلك أقوالهم، وتراثهم في التصوف من ناحيتيه النظرية والعملية " [٢]، ولما تميز به من حرص شديد على أن يكون تصوفه قائماً على الكتاب والسنة، ولذا فقد انتقد صوفية الشطح، الذين نطقوا بعبارات توهم الخلط بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فقال:

"وادعوا أنهم قد تحرروا من رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه وهم محو (أي في حال الفناء)، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم .... وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية "[٣] وكما انتقد القشيري صوفية الشطح فقد انتقد أيضاً بعض صوفية عصره، فقال: " .... ثم اعلموا

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٥

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٣) الرسالة القشيرية: للقشيري (١ / ٢٠).

رحمكم الله، أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة ...فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة "[1]

وهذا يشير في وضوح لا لبس فيه إلى أن التصوف في رأي القشيري لا يكون تصوفاً إلا إذا كان مستمداً من الكتاب والسنة.

والثاني: حجة الإسلام الغزالي الذي صار عن جدارة أستاذ العقيدة في مدرسة النظامية ببغداد، كما كان فقيهاً وأصولياً من الطراز الأول، حتى أسماه البعض "الشافعي الثاني"[2]، ويعتبر الغزالي أكبر مدافع في الإسلام عن التصوف السني، وهو التصوف القائم على عقيدة أهل السنة والجماعة، وعلى التقشف والزهد وتربية النفس وإصلاحها.

وهو في ذلك يتفق في تصوفه مع صوفية القرن الثالث والرابع، كما يتفق مع القشيري والهروي وغيرهما من صوفية عصره، ومع السابقين عليه ممن انتموا إلى هذا الاتجاه، إلا أن الغزالي يعد أعظمهم، من ناحية شخصيته وثقافته وتصوفه وعلمه، وأثره واضح على التصوف من بعده"[3]، ومن الأمور التي تثير الإعجاب في الغزالي أنه مفكر عاش آراءه، فلم يكن

---

([1]) الرسالة القشيرية: ١/٢١.

([2]) دراسات في التصوف الإسلامي: أ. د / حسن الشافعي، أ. د / عبد الحميد مد كور، ص ١١٥.

([3]) مدخل إلى التصوف: د. أبو الوفا التفتازاني، ص١٥٢.

هناك فجوة بين ما يعتقد وما يسلك، فتصوفه صورة لحياته، كما كانت حياته صورة لتصوفه"[١].

## المبحث الثاني: التصوف في عصر الشيخ عبد السلام بن غانم:

إذا نظرنا إلى التصوف في القرن السابع الهجري وهو القرن الذي عاش فيه ابن غانم نجد أن التصوف قد ازدهر في عصره وكان من أسباب انتشار التصوف وازدهاره عدة عوامل منها:

أ ـ افتقاد العدل الاجتماعي: حيث كان المجتمع المصري يتألف من عناصر بشرية مختلفة متعددة، فمنهم العرب، والقبط، وبقايا الإغريق والرومان، وجماعات من السودان، والعبرانيين، وغير ذلك، فكانوا يختلفون فيما بينهم اختلافاً بيناً في الجنس والنشأة، وفي العقول والعواطف، والمذاهب، والمعتقدات [٢]، كما كان المجتمع المصري في تلك الحقبة ينقسم إلى أربع طبقات:

١. طبقة المماليك، وكان منهم السلطان ونوابه وأمراء الدولة والجيش وقادته.

٢. طبقة رجال الدين والأدب، وكان من هؤلاء القضاة والكتاب والوزراء.

٣. طبقة التجار وأهل البيع والشراء.

٤. طبقة الصناع والزراع وأرباب الحرف والفلاحين. [٣]

---

(١) المرجع السابق: ص١٨٤.

(٢) الأدب الصوفي: د. علي صافي حسين، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٤م، ص٢١

(٣) خطط المقريزية: للمقريزي (٢٢١/٣) ط بولاق، ١٣٠٥ هـ.

وهذه الأوضاع الاجتماعية التي كان عليها المجتمع المصري في هذه الفترة من عدم التكافؤ، وكثرة التنافر، وقلة الانسجام، حيث استأثر الأيوبيون والمماليك بالحكم والسلطان ولم يسمحوا لأحد من المصريين المسلمين المنحدرين من أصل عربي أن يتبوأ أي مرتبة عسكرية أو وظيفة إدارية ذات بال، وذلك أمر ولد في نفوس المصريين المنحدرين من أصل عربي شعوراً بالظلم والجور.

وقد حاولوا التحرر من ذلك بالحرب والقتال، ولكنهم أخفقوا ولجؤوا إلى الزهد والتصوف فوجدوا فيه بغيتهم، فأدى ذلك إلى ازدهار التصوف في هذا العصر، ويؤيد ذلك أن شيوخ التصوف وأقطابه كانوا من العرب الخلص من أمثال السيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي وغيرهم. (١)

ب. هجرة الكثير من متصوفة المغرب وبغداد إلى مصر، أما متصوفة المغرب فقد هاجر كثير منهم وعلماؤها في القرنيين السادس والسابع الهجريين إلى مصر، وكان ذلك بعد زوال دولة المرابطين في القرن السادس الهجري، وهي الدولة التي أسسها عبد الله بن ياسين (ت ١٥٠٩م) على أسس من التصوف الروحي والجهاد الديني، وعلى أسس من التقشف، والزهذ والعبادة، فدعا أصحابه إلى الإقامة في الربط لعبادة الله بعيداً عن حياة الفساد، فبعد زوال هذه الدولة وقيام دولة الموحدين،

(١) الأدب الصوفي: د. علي صافي حسين ص٢٣.

**كان الطبيعي أن يفكر متصوفة المغرب وعلماؤها في الهجرة إلى القاهرة التي وجدوها تربة خصبة لبذر أفكار الصوفية[١].**

**ولذا يمكن القول إن التصوف العملي "تصوف أصحاب الطرق الصوفية " قد جاء مواكباً لضعف الحضارة الإسلامية، فالحق أن الرغبة في العزلة والعودة إلى الله لا تقوى إلا في ظلال الضعف [٢]**

**أما صوفية بغداد والشام فقد هاجروا إلى مصر بعد سقوط بغداد على أيدي المغول عام ٦٥٦هـ وبسبب الحروب الصليبية التي استمرت طويلاً في بلاد الشام، فقد تحملت مصر العبء الأكبر في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في هذا القرن، حين خلصت العالم الإسلامي من المغول، وانتصرت على الصليبيين وردتهم على أعقابهم خاسرين، فقد تميز هذا القرن في مصر بظهور عدد كبير من المتصوفة، فقد جاء إلى مصر وعاش كبار المتصوفين من الغرب والشرق من أمثال عبد الرحيم القناوي (ت٥٩٢هـ) الذي قدم من المغرب، وسيدي أحمد البدوي (ت٦٦٧هـ)، وسيدي إبراهيم الدسوقي (ت٦٦٩هـ) [٣].**

**فقد أدى هجرة هؤلاء إلى مصر ما كانت عليه أخلاق أهل مصر والقاهرة، على درجة الخصوص أثناء ذلك العصر، إذا اتسمت أخلاق أهل تلك الحقبة وسلوكهم على درجة العموم بالاستهتار والتحلل وقلة الاكتراث**

---

(١) الطرق الصوفية في مصر للدكتور عامر النجار، ص٩٧، دار المعارف، القاهرة، ط الخامسة ١٩٩٢ م.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٠

(٣) حسن المحاضرة ، للحافظ السيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، (١ / ٥١٠)، دار إحياء، ط الأولي ١٩٦٧م.

**بالقيم أو المثل وعدم الانصياع في صدق إلى الوازع الديني، وقد صور ابن إياس صورة المجتمع في ذلك الوقت بقوله:**

**"ثم دخلت سنة ٦٦٥ هـ، فيها أبطل السلطان ضمان الحشيشة وأمر بإحراقها وخرب بيوت المسكرات، وكسر ما فيها من الخمر وأرواقها "[١]**

**وقد أدى هذا التهاون في أمور الدين إلى ظهور رجال نصبوا أنفسهم لإحقاق الحق ودحض الباطل، وذلك بالإكثار من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهته، وبالإقبال على الله والتبتل إليه وترك الشهوات، والبعد عن الملذات من جهة أخرى، وذلك جرياً على ما قضت به سنة الله في الظواهر الإنسانية عقلية كانت أو خلقية، إذ جرت العادة في مثل تلك الظاهرة الخلقية أن يكون لها في كل عصر توجد فيه سجيتان، إحداهما إيجابية والأخرى سلبية، فالسلبية هي الاستهتار والإفراط والتفريط في الدين، أما الإيجابية فهي أن يظهر رجال يتحلون بالتقى والورع وينشطون في الدعوة إلى الدين، وهذا الذي كان فعلاً أثناء ذلك العصر، فقد وجد جمع غفير من رجال الزهادة والتصوف... وبالتالي ازدهر التصوف وكبر عدد الشيوخ والمريدين من أهل المجاهدة والمكابدة.[٢]**

**ومما سبق يتضح لنا أن الظروف والأوضاع قد تفاعلت معاً وأدى تفاعلها إلى نضوج التصوف وازدهاره وانتشاره في هذا العصر بصورة لم تعهدها مصر من قبل.**

---

([١]) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس، ط١٣١١ هـ، القاهرة (١٠٤/١).

([٢]) راجع الأدب الصوفي في مصر قي القرن السابع الهجري د. علي صافي حسين ص٢٦.٢٧

## المبحث الثالث: آراؤه وموقفه من القضايا الصوفية:

أما عن موقفه من التصوف فقد جعل ابن غانم المقدسي ميدان التصوف هو " وكْدَهُ " فتوغل فيه إلى الأعماق، وقد أشار اليونيني إلى بداية المقدسي في طريق الصوفية كيف كانت فقال: " ... ثم لازم بعد ذلك كلام جده الشيخ غانم – رحمه الله – فانتفع به " [١]

وإذا كان الشيخ غانم قد انتقل إلى جوار ربه، وعبد السلام لم يبلغ الثالثة من عمره، فلابد أن يكون هناك مصدر ما، أو حلقة وصل بين الحفيد وجده، قد أغفل اليونيني ذكرها. والحقيقة أنه كان لدى عبد السلام أكثر من وسيلة يمكن أن تصله بجده.

وأول ما يتبادر إلى الذهن، والده الشيخ أحمد، ذلك الزاهد المتجرد، المنقطع إلى طاعة الله وعبادته، أما كان كفيلاً بأن يلقن ابنه، وينقل إليه كل ما ورثه عن أبيه الشيخ غانم، من علم ومعرفة بطريق القدم؟

ثم يجب أن لا ننسى أن تراث الشيخ غانم لم يكن في مكنون الصدور وحسب، بل كان مما حفظته السطور أيضاً، فقد ذكر اليونيني: " أن للشيخ غانم كلاماً كثيراً مدوناً، وأشعاراً على طريق القدم " [٢].

وبذلك تكون قد توافرت لعبد السلام المصادر المكتوبة، إضافة إلى المصادر الحية، فصح له سلوكه، مقتفياً آثار جده، متخلقاً بأخلاقه من إعراض عن الدنيا، وتفرغ لعبادة الله على قدم التجريد، ومجاهدة النفس.

---

([١]) ذيل مرآة الزمان: لليونيني (٤ / ١٤).

([٢]) ذيل مرآة الزمان: لليونيني(٣ / ٦١).

**فكان تصوفه تصوفاً نظرياً وعملياً في آنٍ واحدٍ، نظرياً: لأنه لزم كلام جده، وما ورد عنه من تعاليم ونصائح وإرشاد.**

**وعملياً: لأنه أخذ نفسه بالمجاهدة، وعمل على صقل مرآة روحه على طريق أهل التصفية والمجاهدة، فالمقدسي كان يسعى بمجاهداته ومكابداته، إلى مشاهدة الأسرار الإلهية الخفية، وإدراك الحكمة الربانية السارية في الأشياء كلها، وهو ما أشار إليه حيث يقول: " فلو نظرت بعين بصيرتك، وانجلت مرآة سريرتك، وأصفيت بأذان يقظتك، لأسمعك كل موجود ما يجده من فقدان وجده، وما يكابده من وجدان فقده" [1].**

**ومن خلال هذه الدراسة عن ابن غانم يمكن القول إنه كان معتدلاً في تصوفه، متزناً في أحواله وأقواله، لم يرد في كتبه ما يعرف بشطحات الصوفية، أو الكلام الخارج عن حدود الشرع والعقل، والمقدسي مع تقدمه في ميدان التصوف وشهرته الواسعة في الأقطار المتعددة – لم يذكر له في كتب التراجم أية كرامة أو خارقة، في الوقت الذي نجد فيه الكثير من الكرامات منسوبة لمن هم أقل منه شأناً ومكانة وعرفاناً. وهذا – في اعتقادي – دليل على استقامة طريقته، واتزان شخصيته، والتزامه حدود الشرع الشريف.**

---

([1]) كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار: لعبد السلام بن غانم المقدسي ص٥، ط/ دار الطباعة السلطانية باديز / ١٨٢١ م، مترجمة إلى اللغة الفرنسية: جارسان دي تاس.

## المبحث الرابع: موقفه من الصوفية السابقين:

من خلال دراسة ابن غانم يمكن القول إن ابن غانم كان متأثراً بكثير من الصوفية السنيين الذين لم يخرجوا عن حد الشرع من السابقين عليه وخاصةً.

١ ـ تأثره بالغزالي: تأثر ابن غانم بالغزالي تأثراً كبيراً وكان ذلك واضحاً في مسألة السماع، فقد ذهب الشيخ ابن غانم إلى نفس ما ذهب إليه الغزالي من قبل، فالغزالي يرى أن السماع مهيج لما في القلوب مخرج لما فيها فنراه يقول في الإحياء: " فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها، وتظهر محاسنها أو مسوائها، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا بما يحويه، كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه.

فالسماع للقلب محك صادق، ومعيار ناطق، فلا يصل نفس السماع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو غالب عليه" [١] وهذا المعنى الذي ذهب إليه الغزالي هو الذي قال به ابن غانم " ومعلوم أن السماع مهيج ما في القلوب، محرك لما فيها، فلما كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله، صافية من كدر الشهوات محترقة بحب الله – تعالى – ليس فيها سوى الله، فالشوق والوجد [٢]والهيجانُ والقلق كامن في قلوبهم ككمون النار في

---

([١]) إحياء علوم الدين: للغزالي، (٢٦٦/٢) دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة بدون.

([٢]) الوجد: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، الرسالة القشيرية (١ / ٢٠٢).

**الزناد، فلا تظهر إلا بمصادفة ما يشاكلها " [١]. أما في بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليل السماع وتحريمه، فقد استدل ابن غانم على إباحة السماع ببعض الآثار التي ذكرها الغزالي في الإحياء مثل:**

**" وسمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر وجاء عنه آثار في إباحة السماع، وسمع من الصحابة ابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية– رضي الله عنه وغيرهم. وممن قال بإباحة السماع من السلف: مالك بن أنس، وأهل الحجاز أجمع يبيحون الغناء، وأما الحداء[٢] فاجمع الكل على إباحته وكان ابن جريج – رحمه الله تعالى – يرخص في السماع، فقيل له : إذا أتي بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ففي أي الجانبين سماعك فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات يعني أنه من المباحات وأما الشافعي – رضي الله عنه – فإنه لا يحرمه ويجعله في العوام مكروهاً حتى لو جعل الغناء له حرفة وصناعة فترد به الشهادة، ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات ، وكان ابن مجاهد– رحمه الله – لا يجيب دعوة إلا إذا كان فيها السماع، وقال يونس بن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمهما الله تعالى عن إباحة أهل المدينة السماع، فقال :**

---

(١) حل الرموز ومفاتيح الكنوز، ابن غانم، لوحة رقم ٨٠، ٨١.

(٢) الحداء: بضم الحاء وكسرها: وهو الغناء للإبل حتى تسرع في المسير، الرسالة القشيرية للقشيري (٦٣٨/٢) هامش.

**لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان فيه في أوصافه، وأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت وتلحين [١] الأشعار فلا أراه إلا صياحاً وكان أبو مروان القاضي رحمه الله تعالى عنده جوار يُسْمِعنَ التلحين قد أعدهن للصوفية، وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما إذا اجتمعوا عنده وكان أبو الحسن العسقلاني يسمع ويوله في السماع وصنف كتاباً رد فيه على منكريه، وكذلك جماعة صنفوا كتباً في الرد على منكريه،**

**وحكي عن بعض المشايخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر- عليه السلام - فقلت : له ما تقول في هذا السماع الذي قد اختلف فيه أصحابنا؟ : فقال: هو الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء"[٢] فهذه الآثار التي ذكرها ابن غانم في إباحة السماع قد ذكرها جميعا الغزالي من قبل [٣]، وكما قاس الغزالي سماع الصوت الطيب المدرك بحاسة السمع على سائر المدركات الأخرى الطيبة التي تدرك ببقية الحواس [٤] فقد ذهب ابن غانم إلى نفس القياس في إباحته في الاستدلال على إباحة السماع، وهكذا نرى تأثر الشيخ ابن غانم بالغزالي.**

**٢.<u>تأثره بالقشيري</u>: فكما تأثر ابن غانم بالغزالي فقد تأثر أيضاً بالقشيري وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً في مواطن كثيرة منها: ما جاء في**

---

(١) التلحين: هو تغيير الكلمة لتحسين الصوت وهو مكروه لأنه بدعة – التعريفات: الجرجاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط عام ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨م، ص ٥٨.

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز لوحة /٨٦. ٨٧

(٣) إحياء علوم الدين: للغزالي (٢/٢٦٧)

(٤) إحياء علوم الدين: للغزالي (٢/٢٦٩).

**المحبة حيث فسر المحبة بأنها خصوص من عموم الإرادة فقال : " اعلم أن الله – سبحانه وتعالى – يوصف بمحبة عبده، والعبد يوصف بمحبة ربه، فمحبة الحق – سبحانه وتعالى – لعبده خصوص من عموم رحمته، ورحمته خصوص من عموم إرادته، فالإرادة جامعة لجميع المرادات من الحب والبغض والرضا والسخط والقرب والبعد [١]، فكل ذلك متعلق بالإرادة "[٢] وهذا ما نجده عند القشيري في الرسالة :"فمحبة الحق، سبحانه، للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة أخص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى "رحمة " وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى " محبة " [٣] .**

**كما ذهب إلى جواز وقوع الكرامات بمعناها الخارق على يد الولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واستدل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية، وهو بذلك ينهج نهج أهل السنة من السابقين عليه، وإن كان القشيري لم يكن هو وحده القائل بهذا الرأي إلا أن الشيخ ابن غانم قد ذكر كثيراً من الأدلة النقلية التي ذكرها القشيري في الرسالة القشيرية كما أنه ذكر بعضاً من أقوال القوم في الكرامة التي قد ذكرها القشيري أيضاً في الرسالة القشيرية**

---

(١) الإرادة: بدء طريق السالكين، وهي اسم لأول منزلة القاصدين إلي الله تعالي. وإنما سميت هذه الصفة: إرادة؛ لأن الإرادة مقدِّمة كلِّ أمر، فما لم يُرد العبد شيئاً لم يفعله، فلما كان هذا أوَّل الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سُمّي: إرادة، تشبيهاً بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها. راجع الرسالة القشيرية للقشيري (٢ / ٤٣٣).

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز لوحة /٢٨ . ٢٩.

(٣) الرسالة القشيرية (٦١١/٢)

**دون الإشارة إليها [١] فالمتتبع لفكر وآراء ابن غانم يلحظ بوضوح مدى تأثر ابن غانم بالقشيري.**

**أما عن موقف الشيخ ابن غانم من أصحاب الشطح، كالحلاج: فقد عذر ابن غانم أصحاب الشطح من الصوفية كالحلاج وإن كان قد لامهم فيما صرحوا به من ألفاظ موهمة يخفى معناها على كثير من غير السالكين، فقد عذر الحلاج فيما صدر عنه، وذكرهم في جملة الصحابة والأولياء الذين قد خصهم بالذكر في كتابه شرح حال الأولياء فقال " فأريق دمه وما زَلَّ عن الحق قدمه فلما أُشكِل عليه حاله، وحان إلى الله ارتحاله؛ كتب وصيته بدمه للاستبانة، يقرأها من شك في إيمانه وأفتى في هدم أركانه " [٢].**

(١) حل الرموز ومفاتيح الكنوز لوحة /١١١ وما بعدها.

(٢) شرح حال الأولياء لعبد السلام ابن غانم المقدسي مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٢٦) مجاميع تيمور عربي ميكروفيلم رقم (١٨١٢٨).

# الفصل الثالث: موقف ابن غانم من السماع الصوفي

## المبحث الأول: تعريف السماع وانواعه:

**السماع لغةً**: اسم مصدر وهو ما سمعت به فشاع وتكلم به، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن فهو سماع، والسماع الغناء، وقيل: السماع حس الأذن أو سماع الأذن [١] ويرد كثيراً بمعنى ما يصل إلى السمع كالموسيقى والإنصات إليها، وجاء في الفارسية سماع خانه، بمعنى بهو الذكر والإنشاد، وأهم ما يستعمل بالمعنى الاصطلاحي هو استعمال الصوفية له وهو يدل عندهم على الاستماع إلى الموسيقى والغناء والإنشاد لبلوغ حالة الوجد[٢].

**أما التعريف الاصطلاحي للسماع**: فليس لأهل الطريق ثمة تعريف محدد يمكن الركون إليه فقد اختلف المشايخ الكرام في تعريفه باختلاف درجاتهم واختلاف مشاربهم، قال ذو النون المصري :" السماع وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحقٍ تحقق ومن أصغي إليه بنفس تزندق" [٣] وقال الجنيد البغدادي رحمه الله : " السماع فتنة لمن طلبه وترويج لمن صادقه " [٤] وقد عرفه الشيخ أبو بكر الشبلي رحمه الله فقال : " السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة " [٥] وعرفه الغزالي بقوله "

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، (١٠ / ٢٦ . ٢٩).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، (١٢ / ١٨٨ . ١٨٩).

(٣)اللمع : للطوسي ص ٢٢٦، الرسالة القشيرية للقشيري (٢ / ٦٤٤).

(٤)الرسالة القشيرية للقشيري (٢ / ٦٤٤).

(٥) المرجع السابق (٢ / ٦٤٥)

**السماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا تصل نفس السامع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه "[١] ، والطوسي في "اللمع" يقول: "السماع موهبة روحيّة معناها قدرة الشخص على سماع أصوات لا يسمعها الناس الآخرون بحاسّة السّمع العاديّة"، وقال الشيخ عبد السلام بن غانم السماع:" هو عبارة عن الأصوات الحسنة والنغمات المطربة يصدر عنها كلام موزون مفهوم، فالوصف الأعم في السماع إنما هو الصوت الحسن والنغمة الطيبة "[٢].**

**وتلتقي هذه التعريفات الاصطلاحيّة في كونها وردت على لسان عدد من الصوفيّة حمّلوا من خلالها السماع أبعاداً استقوها من واقع تجربتهم التعبّديّة وضبطوا له مجالاته، وبها نتبيّن تمييزهم بين درجات في السماع أساسها طبيعة المستمع ومرتبته أو حاله، فسماع المريد يختلف عن سماع شيخه، وكذلك السالك يختلف عن الواصل: فالأوّل (المريد/السالك) يستعين بالسماع لتصفية باطنه وتطهير نفسه ورياضتها، والثاني يجد فيه فسحة وراحة. يقول أبو عثمان سعيد الحريري: "السماع على ثلاثة أوجه: فوجه منها للمريدين المبتدئين، يستدعون بذلك الأحوال الشريفة، ونخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءة. والثاني: للصادقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوفق أوقاتهم. والثالث: لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون".**

---

(١)إحياء علوم الدين للغزالي، الناشر دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م (٢ / ٢٨٧).

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز لوحة، ٩٦.

وإذا ما كان السماع في بدايات التصوّف نشاطا يهدف إلى تطهير النفس، فتغلب عليه الأبعاد التربويّة والروحيّة، فإنّه بات عند المتأخّرين طقسا اختلفت أشكاله وتوظيفاته بين من يعتمده لإصلاح القلوب واستجلاب الأحوال، وبين من يجعله أداة للارتزاق والكسب أو الغنيمة. وهذا ما دعا عددا من الصوفيّة إلى إبداء احترازات في شأنهم وصلت حدّ الرفض أحيانا.

## أنواع السماع:

السماع ليس كله على درجة واحدة من حيث الحل والحرمة، وإنما يختلف باختلاف المسموع، وكذلك باحتلاف أحوال السامعين، ولذلك رأينا الكلام يتردد فيه بين الإباحة والمنع نظرا لتعدد أنواعه، فمن حيث المسموع ينقسم إلى:

١ . مطلوب ومشروع بشروطه وآدابه: كسماع القرآن، ودروس العلم، وهذا النوع مأمور

به ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]

٢. مندوب: كسماع الأشعار المزهدة في الدنيا المرغبة في لقاء الله ومحبته ورجائه والدار الآخرة.

٣ . مباح: كسماع الحداء، أو سماع الدفوف التي تضرب للعرس، أو عند الحرب.

٤ـ حرام: كسماع المعازف والتغزل في المردان والنسوان، وسماع كل ما يهيج إلى هوى محرم؛ لأن سماع ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام.

(٢) الأعراف: الآية ٢٠٤

وإلى هذا أشار الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الفاوي بقوله : " والسماع إن كان سماع قرآن فهو مشروع ومطلوب بشرطه وآدابه لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[١]، ومن أهم شروطه الإنصات والخشوع والتدبر قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[٢]، وقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [٣]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن قال مرة لأبي اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال أحب أن أسمعه من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ [٤]،

فإذا عيناه تهمران [٥] وأما إذا كان السماع لغير القرآن فإذا كان سماع مكاء وتصدية ومعازف وتغزل في المردان والنسوان فهو حرام وليس على الناس أضر منه ولا أفسد لعقولهم وأديانهم وأموالهم وأولادهم وحريمهم منهم، وقد امتدح الله التاركين له والمعرضين عنه في قوله : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا

---

(١) الأعراف: الآية ٢٠٤.

(٢) المائدة: الآية ٨٣.

(٣) الزمر: الآية ٢٣.

(٤) النساء: الآية ٤١.

(٥)أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القراءة من حافظ للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر، ١/٥٥٥، حديث (٨٠٠).

**اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [1]، وقوله : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ [2]، قال ابن مسعود : "الغناء ينبت النفاق في القلوب كما ينبت الماء البقل وما اجتمع في قلب عبد قط محبة الغناء ومحبة القرآن إلا طردت أحداهما الأخرى" [3].**

**والقرآن ثقيل على أهل الغناء لا يتحركون له ولا تقشعر منه جلودهم فإذا ما سمعوا الغناء خشعت منهم القلوب ووقع البكاء والوجد.**

**تلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة لكنه إطراق سه لاهـــــــي**

**وأتى الغناء فكالذياب تراقصوا والله ما رقصوا من أجل الله**

**ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بأوامر ونـــــــواهي**

**وعليهم خف الغنا لما رأوا إطلاقه في اللهو دون مناهي**

**وإذا كان السماع دون ذلك كأن يجتمع قوم في مكان خال من الأغيار يذكرون الله ويتلون شيئاً من القرآن ثم يقوم بينهم قوال ينشدهم شيئاً من الأشعار المزهدة في الدنيا المرغبة في لقاء الله ومحبته ورجائه والدار الآخرة وينبههم على بعض أحوالهم من يقظة أو غفلة أو بعد أو انقطاع أو**

---

([1]) القصص: الآية ٥٥.

([2])الفرقان : الآية ٧٢

([3])أورده الغزالي في إحياء علوم الدين، وقال رفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح، وقال الحافظ العراقي: قال المصنف والمرفوع غير صحيح لأن في إسناده لم يُسمَّ، رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الؤلؤي، ورواه البيهقي مرفوعاً وموقوفاً، أحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٢/٢٨٣)، وأورده أبو داود في سننه (٤ / ٢٨٣ ) .

**تأسف على فائدة أو تدارك لفارط أو وفاء بعهد أو تصديق بوعد أو ذكر قلق أو شوق أو خوف فرقة أو صد وما جرى هذا المجرى فهو السماع الذي اختلف فيه العلماء وولع به الصوفية " [١].**

**وقد أشار إلى هذه الأقسام الشيخ عبد السلام بن غانم فقسم السماع هذه الأقسام، فقال: " واعلم أنه تحتم هاهنا ووجب ذكر السماع وما هو منه محظور، وما هو منه مباح ، وما هو مستحب مستحسن وإن كثيراً من المتعمقين والمتقشفين كرهوه وأنكروه أصلاً وفرعاً وحقيقة وشرعاً، وهذا غلط منهم، لأن ذلك يفض إلى تخطئه كثيرُ من أولياء الله وتفسيق كثير من العلماء إذ لا خلاف أنهم سمعوا الغناء وتواجدوا وأفضى بهم إلى الصراخ وإلى الغشية والصعق فكيف ينسب إليهم نقصُ وهم سالكون أتم الأحوال وإنما يحتاج إلى تفصيل ونظر في أهل السماع واختلاف طبقاتهم فمن صح فهمه وحسن قصده وصقلت الرياضة مرادات قلبه وجلت نسمات العزيمة، فضاء سره وصفا من تصاعد أكرار أرض طبق وتجار بشريته وخيالات وساوسه وعرى عن حظوظ الشهوات، وتطهر عن دنس الشبهات فلا نقول إن سماعه حرام وفعله ذلك خطأ " [٢].**

**وقال أيضا: " ومجمل القول في ذلك أن من سمع فظهرت عليه صفا نفسه وذكرته بحظوظ دنياه واستثار بسماعه وساوس هواه فالسماع عليه حرام محض، ومن سمع فظهر عليه ذكر ربه وخوف من ذنبه، وتذكر**

---

([١])التصوف عرض ونقد: د. عبد الفتاح الفاوي، ص١٣٩ـ ١٤٠، دار الهاني للطباعة والنشر / القاهرة، بدون

(١)حل الرموز ومفاتيح الكنوز: ابن غانم لوحة ٨٠ . ٨١

آخرته فأنتج له ذلك الذكر شوقاً إلى الله وخوفاً منه، ورجاءً لوعده، وحذراً من وعيده، فسماعه ذكر من الأذكار مكتوب في صحائف الأبرار، ولقد أشرت إلى هذا المعنى في هذه الأبيات:

إذا ما كنت مستمعاً لقولٍ ... فبالقلب استمع من قبل أذن

وألق السمع تشهد كل معنى ... وتسمع من شهودك كل فن

ومن يك وجده وجداً صحيحاً ... فلم يحتج إلى قول المغني

له من ذاته طرب قديم ... وسكر دائم من غير دن

فدعني من تَغْزُّلِ قيس ليلى ... ومن أبيات شعر جميل بثن

فبي شغف على الأشعار يلهي ... وبي طرب عن الأوتار يغني

وفي إياي كل لطيف معنى ... فمتى إن سمعت سمعت عني

وما وجدي بمنقطع ولكن ... بحيث يكون محبوبي تجدني

فإن لم تدرك المعنى وتدري ... خفايا ما أقول فلا تلمني

فمن حضر السماع بغير قلب ... ولم يطرب فلا يلم المغنى

وإن تك يا عذول جهلت أمري ... فدع عنك الملام وخل عني

أغني باسم حبي لا أكني ... إذا كَنَّيت عنه فذاك أعني

وراحي إن شربت فصفو ودي ... وزادي إن قصدت فحسن ظن

ولا أرضى إذا لم يرض عني ... نعيماً لا ولا جنات عدن

**وما نفعي بدار لست فيها وأنت القصد يا أقصى التمني [١]"**

**وكما اهتم الصوفية بتقسيم السماع من حيث المسموع، فقد اهتموا أيضاً بتقسيمه من حيث أحوال السامع إلى ثلاثة أوجه أيضاً:**

**١. مندوب ومطلوب: " وهو سماع العارفين، وهؤلاء يختلف سماعهم باختلاف أحوالهم، فمن غلب عليه الخوف أثر فيه السماع عند ذكر المخوفات وظهرت آثاره عليه من الحزن والبكاء وتغيير اللون.**

**والخوف أقسام أحدها: خوف العقاب، والثاني خوف فوات الثواب، والثالث خوف فوات الحظ من الأنس والقرب بالملك الوهاب، وهذا من أفضل السامعين، فهو لا يتصنع في سماعه ولا يصدر عنه إلا ما غلب عليه من آثار الخوف؛ لأن الخوف وازع عن التصنع والرياء، وهذا إذا سمع القرآن كان تأثيره فيه أشد من تأثير النشيد والغناء." [٢]**

**٢. مباح: " وهو من غلب عليه هوى مباح، كمن يعشق زوجته وأسرته، فهيجه السماع وأثر فيه الشوق، وخوف الفراق، ورجاء التلاقي، فيطرب لذلك، فسماعه لا بأس به " [٣].**

---

(١) حل الرموز ومفاتيح الكنوز: ابن غانم لوحة ٨٥.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، (٢/٢١٧)، ط/ دار الجيل، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام العز بن عبد السلام (٢/٢١٨).

**٣ ـ حرام: كسماع من يغلب عليه هون محرم، كهوى المرد ومن لا تحل له من النساء، فهيجه السماع إلى السعي في الحرام، فسماعه حرام؛ لأن ما أدى إلى الحرام فهو حرام "[١].**

**من هنا يمكن القول أن السماع سواءً من حيث السامع أو المسموع فهو ثلاثة أقسام: مندوب ومطلوب، مباح، حرام، غير أن أهل الطريق الصوفية ليسوا في سماعهم على درجة واحدة، وإنما هم في سماعهم على ثلاثة أوجه فعن بندار بن الحسين أنه قال: السماع على ثلاثة أوجه: فمنهم من يسمع بالطبع، ومنهم من يسمع بالحال، ومنهم من يسمع بالحق[٢].**

## المبحث الثاني: أهمية السماع عند الصوفية:

**للسماع عند الصوفية مكانةٌ عظيمةٌ، وفي ذلك يقول الدكتور الفاوي: " فقد نشب في قلوب جماعة منهم فآثروه على تلاوة القرآن، ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن، فهو عندهم قربة، فقد روى عن الجنيد أنه قال: " تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن: عند الأكل، لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند المذاكرة، لأنهم يتجاوزون في مقامات**

---

([١])المرجع السابق (٢١٨/٢).

([٢])اللمع : للطوسي، ص٣٤٩، والرسالة القشيرية للقشيري: (٦٤٨/٢).

**الصديقين وأحوال النبيين، وعند السماع، لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً "[١]**

**وقد علق ابن الجوزي على ذلك بقوله: " إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولاً على ما يسمعونه من القصائد الزهدية، فإنها توجب الرقة والبكاء، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى، ويحمل ذلك على صفات الباري – سبحانه وتعالى – فلا يجوز اعتقاد هذا، ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع، ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال " [٢]، فالصوفية في السماع مختلفون منهم من يكون السماع بالنسبة له كالطعام، ومنهم من يكون السماع له كالدواء، أي يصبح عادة تجعل النفس دائماً تسعى إلى تحقيق شهواتها، ويذهب هيبتها وبذلك يكون في السماع هلاك للنفس، وفساد للقلب، والسماع لطائفة أخرى مروحة أي يصبح وسيلة للترفيه والترويح عن النفس من متاعب الحياة، وهذا ما أشار إليه السهروردي في عوارف المعارف بقوله: " السماع لقوم كالغذاء، ولقوم كالدواء، ولقوم كالداء، ولقوم كالمروحة " [٣].**

---

([١]) اللمع: للطوسي ص ٣٤٣، الرسالة القشيرية: للقشيري (٢ / ٦٤٤)، تلبيس إبليس لابن الجوزي الناشر إدارة الطباعة المنيرية، (ص ٢٤٩) والتصوف عرض ونقد: د . الفاوي ص ١٣٦.

([٢]) تلبيس إبليس: لابن الجوزي، ص ٢٤٩.

([٣])عوارف المعارف للسهروردي، ص٢٤٨ تحقيق د. عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف – ط/ مكتبة الإيمان ط. الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.

**فالسماع عند الصوفية هو إحدى الرياضات الروحية التي يمارسها المريد من أجل التطهر والصفاء، ومحاولة تحلي النفس عن أخطائها، وتذكرها الدائم لله – سبحانه –، فما من صوفي إلا وقد عشق السماع، يقول ابن القيم: " السماع عندهم محبة صادقة تزول الجبال عن أماكنها ولا تفارق قلوبهم إذ هو مثير عزائمهم ومحرك سواكنهم، ومزعج بواطنهم"[1].**

**وقد أشار إلى هذه الأهمية الشيخ عبد السلام بن غانم فنراه بعدما قسم السماع إلي ثلاثة أقسام قام بذكر أقوال القوم في السماع وأثره عليهم فقال:" قال أبو طالب المكي رضي الله عنه :" إن طعنا على السماع فقد طعنا على سبعين صديقاً" [2]، وسئل الشبلي – رضي الله عنه – عن السماع فقال : "ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له السماع وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية" [3]، ومعلوم أن السماع يهيج ما في القلوب محرك لما فيها فلما كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله صافية من كدر الشهوات محترقة بحب الله – تعالى – ليس فيها سوى الله فالشوق والوجد والهيجانُ والقلق كامن في قلوبهم ككمون النار في الزنار فلا تظهر إلا بمصادقة ما يشاكلها فمراد القوم فيما يسمعون إنما هو**

---

(1) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، (٢ /٢٥٢) تحقيق د. عبد الحميد مدكور، ط مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة /١٩٩٦م

(2) ذكره أبو طالب المكى فى قوت القلوب، فقال:" فإن أنكرناه مجملاً فقد أنكرنا على تسعين صادقاً من خيار الأمة"، قوت القلوب، أبو طالب المكى،(١٠١/٢)، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٧٩ م .

(3) اللمع: الطوسي، ص٣٤٢، الرسالة القشيرية: للقشيري (٢ / ٦٤٥)

**مصادف لما في قلوبهم فيثيره بصدقة طروق وقوة سلطان فتعجز القلوب عن الثبوت عند اصطلامه [١] فتعبت الجوارح بالحركات والصرخات والصعقات لثوران ما في القلوب لأنه يحدث فيها شيئاً"[٢].**

**فالشيخ عبد السلام بن غانم لا يرى غضاضة في السماع بل هو محرك لما في القلب مستخرج لمكنونه أشار إلى إباحته كبار الصوفية وإلى أثره على القلوب إذا أُمن من هذه القلوب الافتتان به، وإن حصل منه افتتان فسبب ذلك عدم صلاحية القلب لاستقبال واردات السماع، وإلا فالسماع بذاته ليس فيه ضرر، وإنما الضرر في الوعاء الذي لا يصلح لاستقبال وارداته، ولذلك نقل ابن غانم عن الجنيد قوله: " السماع لا يحدث في القلوب شيئاً وإنما هو مهيج ما فيه فتراهم يهيجون من حيث وجدهم وينطقون من حيث قصدهم ويتواجدون من حيث مئات سرائرهم لا من حيث قول الشاعر : ومراد القائل ولا يلفتون إلى الألفاظ لأن الفهم يسبق إلى ما تخيله الذهن، وشاهد ذلك ما حكى أن أبا حكمان الصوفي سمع رجلاً يطوف وينادي " ( يا سعتر بري فسقط وغشى عليه فلما أفاق قيل له في ذلك فقال سمعته يقول اسع تر برى ) [٣] ألا ترى أن وجده وحركته من**

---

(١) الاصطلام : نوع وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه، اصطلاحات الصوفية الملحقة برسائل ابن عربي (١١/٢)، التعريفات للجرجاني ص ٢٤٠.

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لوحة /٨١.

(٣) في الرسالة القشيرية: (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت يحيى بن الرضا العلوي قال: سمع أبو سلمان الدمشقي " طوافاً " ينادي: يا سعتر بري، فسقط مغشياً عليه، فلما أفاق، سئل، فقال: حسبته يقول: اسع ترى بري) الرسالة القشيرية للقشيري: (٢ / ٦٥٣ – ٦٥٤).

**حيث ما هو فيه من وقته لا من حيث قول القائل ولا قصده، كما روى عن بعض الشيوخ أنه سمع قائلاً يقول : الخيار عشرة بحبه، فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال إذا كان الخيار عشرة بحبه فما قيمة الأشرار فالمحترق بمحبة الله لا تمنعه الألفاظ الكثيفة من فهم المعاني اللطيفة ولم يكن واقفاً مع صوت ولا مشاهدة صورة ، فمن ظن أن السماع يرجع إلى رقة المعنى وطيب النغمة فهو بعيدُ عن السماع، وإنما السماع حقيقة، ربانية ولطيفة روحانية تسري من السميع المسمع إلى الأسرار بطائف التحف والأنوار؛ فيمحق من القلب ما لم يكن ويبقى فيه ما لم يزل فهو سماع حقٍ بحقٍ من حقٍ ، وأما الانزعاج الذي يلحق المتواجد فمن ضعف حاله عن تحمل الوارد[١] وذلك لازدحام أنوار اللطائف في دخول باب القلب فيلحق دهشُ [٢] فيعبث بجوارحه ويستريح إلى الصعقة والصرخة والشقة لقلبه وحده وقهر وارده، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات، وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون والثبوت لانشراح صدورهم واتساع سرائرهم للوارد عليهم فهم في سكونهم محركون وفي ثبوتهم متقلبون، كما قيل لأبي القاسم الجنيد: "ما لنا لا نراك تتحرك عند السماع قال ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب[٣]﴾" [٤] وقيل له ما**

---

(١) الوارد: كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد، اصطلاحات الصوفية الملحقة برسائل ابن عربي، التعريفات للجرجاني: ص٢٢٢.

(٢) دهش: الدهشة: سطوة تصطدم عقل المحب من هيبة محبوبه، د. عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية (ص ٩٨).

(٣) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٤) اللمع: للطوسي، ص ٣٦٧.

معنى السماع وما بال الرجل يكون ساكتاً قبل السماع فإذا سمع اضطراب وتحرك، فقال السماع تذكار خطاب الرفع من الميثاق الأول حين قال:﴿ **ألست بربكم قالوا بلى**[١]﴾"[٢] فمن سمع فبقى كلامه ذلك السماع حين لا حد ولا رسم ولا صفة إلا المعنى الذي سمع، فبقي حلاوة ذلك فيهم فلما أخرجهم وردهم إلى الدنيا، ظهر ذلك فيهم فإذا سمعوا نغمة طيبةً وقولاً حسناً طارت هممهم إلى ذلك الأصل فسمعوا من الأصل وأشاروا إلى الأصل، والعارف هو الذي سمع من الله ومن لا يعرف الله كيف يسمع من الله ؟ ومن لا يسمع من الله فالبهيمة خير منه ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أقل سبيلاً**﴾ [٣]وقال أبو عثمان المغربي يرحمه الله تعالى: " من ادعى السماع ولم يسمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو فقير مدعي" [٤]، فالعارف يسمع ألطف الإشارات من أكثف العبارات، ودخل يوماً أبو عثمان المغربي رحمه الله ورجل يسقى الماء من بئر على بكرة فتواجد فقيل له في ذلك، فقال إنها

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٢) في الرسالة القشيرية (سمعت الجنيد يقول، وقد سئل: ما بال الإنسان يكون هادئاً، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: "ألست بربكم قالوا بلا". الرسالة القشيرية (٢ / ٦٤٣).

(٣)الأعراف : الآية ١٧٩.

(٤)الرسالة القشيرية للقشيري: (٢ / ٦٤٦).

**تقول الله الله:[1]"[2].**

**وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صوت ناقوس فقال لأصحابه أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال إنه يقول: سبحان الله حقاً، حقاً، إن المولى صمد يبقى [3].**

**ومر الشبلي – رحمه الله – يوماً بفقاعي فسمعه يقول ما بقي إلا واحدٌ فصاح وقال وهل كان إلا واحد؟ وقيل لبعض مشايخ الطريقة لمن يصلح السماع؟ فقال لمن لا يفرق بين صرير الباب والصوت الطيب [4] ، ولقد قلت– ابن غانم– في معنى ذلك شعرا:**

**ما استماعي من ضاربات المثاني بل سماعي من واردات المعاني**

**خلوتي خمرتي وسكري فكري واستماعي مني بكل مكاني**

**ليس فيما سمعت حرف وصوت لا ولا نغمة بدت عن هاتان**

**كل من كان في استماع ووجدٍ واقفا عند رنة العيدان**

**ذلك لا شك وجده مستعار مسترد على الحقيقة فاني**

**إنما الوجد في الحقيقة وجد غير مستخرج من الألحان**

---

(١)الرسالة القشيرية للقشيري: (٢ / ٦٥٥).

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لوحة ٨١.

(٣) الرسالة القشيرية للقشيري (٢ / ٦٥٥).

(٤) في الرسالة القشيرية عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: " من ادعي السماع ولم يسمع صوت الطيور، وصرير الباب، وتصفيق الرياح، فهو مدعي"، الرسالة القشيرية: للقشيري (٢ / ٦٤٦) .

فسماع القلوب من كل معنى يتجلى بصفوة للجنان

فاستمع ما يقول مر الليالي واعتبر ما يشير صرف الزمان

وتنصت لصارخات الغوادي في البوادي وشاهدات العيان

وتلمح ترى الحقيقة تبدو من خفايا الغيوب كالترجمان

تجد الكل إن تأملت فرداً واحداً ليس في الحقيقة ثان

فلهذا صرفت وجهي إليه ما ثناني عن الطريقة ثان

أنا لي مسمع إذا قلت سراً يا حبيبي يقول ها أنا داني

يا عزولي فخلني وبلاي وهواي ولو يكون هواني

لا تلمني إذا سكرت فحسبي قد سقاني من صرف صافي الرنان

قط ما رمت شربة لظمأي بكؤوس الوصال إلا سقاني

لا ولا جئت طالباً لحماه احتمي من جفاه إلا حماني [١]

وكان القوم لا ينشغلون بقول القائل ولا بنظم الشاعر وإنما الفهم السابق والوجد الكامن في السرائر هو الذي يحركهم، فينطقون عما خفي في نفوسهم من حب وشوق وتوق.

وللقوم في السماع أحوال، فمنهم من يغشى عليه، ومنهم من ينزعج فيصرخ ويشهق ومنهم من يسكن وثبت فلا يتحرك، وهذا حسب قدرته على تحمل الوارد من أنوار اللطائف.

(١) حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لوحة ٨٦، ٨٧.

وأثر السماع هو استحضار هذا الحال القديم الذي شاهدته وسمعته الأرواح، حينما سمعت قوله تعالى في البدء: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾[1] على ما أشار إليه الجنيد، كما أنه يثير هذا المخزون في القلوب فيحركه للخروج والظهور.

مما سبق يتضح لنا: أن السماع عند الشيخ عبد السلام بن غانم إذا خلا من الأشياء المخرجة عن حد الأدب فلا نكران عليه، وتجري على السماع الأحكام الشرعية، فمنه الحرام: إذا كان لهوى النفس ورغباتها، ومنه مباح: وهو لمن استلذ بالصوت جلباً للسرور أو حال الفرح ونحوه، ومنه مندوب: وهو سماع أهل الحب وهم الصوفية، فليس هو جائز على الإطلاق ولا محرم على الإطلاق ولو حرمناه مطلقاً لكان هذا طعن على من سمع من الصحابة والتابعين.

كما أن الشيخ يقيد المسموع بأن يكون في التذكير بالله سبحانه والدعوة إلى العمل للآخرة، لا في شيء من الدنيا والنساء، ويذكر أن الخلاف ليس في المنشود وإنما في المُغَنى من الشعر وإباحته في العرس ومجالس الذكر مع الدف أما الوتريات فذهب لحرمتها لورود نص فيها.

إذاً الشيخ لا ينكر السماع على أهله بشروطه ولكن ينكره على من نفسه مشغولة بغير الله تعالى.

---

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

## المبحث الثالث: الاتجاهات فى السماع:

هناك اتجاهان فيما يتعلق بجواز السماع، أو منعه، وهذان الاتجاهان يترددان بين الإباحة والندب، أو المنع والكراهة.

### أولاً: القائلون بالإباحة:

نجد هذا الاتجاه كما أشرنا قائماً عند أوائل العصور الإسلامية، فقد وجدت بذور السماع عند زهاد هذين القرنين، لكنهم في سماعهم قد ربطوا بين السماع ومجاهدة النفس، فعلى المريد أن يزهد في سماعه، وذلك يكون بترك حظوظ الدنيا التي يثيرها السماع، وأن يتذكر الحق – سبحانه – من خلال سماعه للقرآن الكريم، وسماعه للأشعار والأناشيد الدينية التي تحثه على الطاعة والقيام بأوامر الله ونواهيه، وفي ذلك يقول عطاء بن أبي رباح : " أن من سمع فظهرت عليه صفات نفسه، وذكرته حظوظ دنياه، فالسماع عليه حرام، ومن سمع فظهر له به ذكر ربه وتذكر به أجل ما شوق الله إليه، وأعده لأوليائه فهو له ذكر من الأذكار "[1]، فإباحة السماع عند الزهاد الأوائل تتوقف إما على موضوعه، فإذا كان موضوع السماع يعمل على مجاهدة النفس ويقظتها والتخلي عن أهوائها، كان السماع حسناً، أما إذا كان موضوع السماع هو التلذذ والشهوة فهذا السماع مرفوض عند الزهاد الأوائل، خوفاً من أن يصبح عادة تشغل المريد من عبادته ومراعاة قلبه.

---

([1]) قوت القلوب في معاملة المحبوب: أبو طالب المكي، (١٢٣/٢)، ط/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة ١٩٦٤ م.

**وقد تتوقف إباحة السماع على غايته: فإذا كانت الغاية من السماع طلب حصول حقيقة السماع فهذا سماع محمود وليس بمذموم، فهو كمن يطلب الوجد بالتواجد، وقد أشار مالك بن دينار إلى شيءٍ من ذلك فقال: "إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة " [١].**

**أما إذا كانت الغاية منه هي الجاه بأن يشار إلى المستمع بالمشيخة وغلبة الحال والوجد، أو منفعة دنيوية من مال أو طعام، فذلك السماع مذموم، لأنه يظهر للعامة ما ليس منه، وبناءً على ذلك يمكن القول أن الزهاد الأوائل كانوا يصطنعون السماع للوصول إلى حال الوجد، وأن السماع عندهم هو سماع القرآن الكريم والأحاديث والأشعار التي تدعو إلى القيام بواجبات الشرع ونواهيه وهو سماع مباح قد حث عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وهو عكس السماع المنهي عنه أي السماع الذي يدعو إلى الشهوة أو غفلة القلب أو ما يمكن تسميته بـ (السماع الشيطاني)، ومن آثار هذا السماع الذي أشارت إليه هذه الطائفة – أي السماع المباح – خوفاً وحزناً وندماً، خوفاً وخزناً على ارتكاب الذنوب والندم عليها، ويتضح ذلك جلياً من حال الفضيل بن عياض ( ت١٨٧ هـ) فقد روى أن الفضيل: " كان إذا ذكر الله أو سمع القرآن، ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه وبكى " [٢].**

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني، (٣٥٨/٢)، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٩٦٧م، صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ص٢٠٧، تحقيق وتعليق محمود فاخوري – ط/مكتبة النهضة الجديدة ١٩٧٠ م.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للأصفهاني، (١٩٨/١).

ثم بعد هذه الفترة قام الصوفية بتحليل معاني السماع وأضافوا إليها كثيراً من المعاني، وأصبح السماع عندهم وسيلة لإظهار معاني كامنة في القلب، فلا يجعل في القلب ما ليس فيه، ولكن يهيج ويحرك ما هو ساكن في القلب، يقول أبو سليمان الداراني " ت ٢١٥ هـ ": " السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه" [١].

وذهب صوفية هذه الفترة –القرن الثالث والرابع والخامس– إلى القول بجواز الترنم ببعض الكلمات والأشعار الموزونة ولكن في مواضع مثل السفر، أو أثناء العمل الشاق حيث اعتاد الناس ذلك ترويحاً للنفس وتنشيطاً لها كحداء الراعي للإبل، وغناء الحجيج تعبيراً عن مشاعرهم عند رؤية البيت الحرام، وكذلك الغناء وقت الغزو لشد الحماسة، يقول أبي سليمان الداراني: (فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع، الحجيج...) [٢]. ولابد للمريد عند هذه الطائفة من الالتزام بآداب السماع، فمن التزم بهذه الآداب فقد تحقق له السماع الحسن، ومن خالفها فقد خرج عن حد السماع المباح، وهذا ما أشار إليه ذو النون المصري عندما سئل عن السماع فقال: " وارد حق يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحقٍ تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق" [٣].

---

([١])إحياء علوم الدين: للغزالي (٣٥١/٢).

([٢]) المرجع السابق، (٣٥١/٢).

([٣]) اللمع: للطوسي، (ص٣٤٢).

**ومن أهم الشروط الواجب توافرها في الوجد الناتج عن هذا السماع الالتزام بالكتاب والسنة، وإلا كان السماع باطلاً، ومن الآثار المترتبة على هذا السماع: رقة القلب وخشوعه والشوق إلى الله والتشوق إلى دار القرار.**

**وسئل الشبلي عن السماع فقال: " ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية، وقيل لا يصح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي، فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة، وقلبه حي بنور الموافقة " [1]، وفي هذا إشارة إلى أن السماع قد يكون فتنة وبلية وهلاك، وقد يكون عظة وعبرة، بلية وهلاك إذا كان السامع نفسه ضعيفة، وعظة وعبرة إذا كانت نفسه قوية من خلال قمعها وإماتة شهواتها.**

**وإذا ذهبنا إلى الغزالي نجده لا يطلق القول بالتحريم أو الإباحة بل يحيل ذلك متوقفاً على حسب الأحوال التي يقال فيها، وحسب الأشخاص الذين يسمعون، وحسب النغمات فيقول في الإحياء: " ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحته أو تحريمه، بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمنه حكم ما في القلب " [2]، فحاسة السمع عنده مثلها مثل بقية الحواس فكما أن حاسة البصر تستلذ بالنظر إلى الحضرة، وحاسة السمع تستلذ بالروائح الطيبة، فكذلك استلذاذ حاسة السمع بالأصوات الجميلة والنغم الطيب مباح شرعاً، فيقول في الإحياء : "السماع هو استماع صوت**

---

([1]) الرسالة القشيرية: للقشيري (٢ / ٦٤٥).

([2]) إحياء علوم الدين: للغزالي (٢ / ٣٤٥).

**طيب موزون مفهوم المعنى، محرك للقلب، وليس في جملته إلا التذاذ وحاسة السمع والقلب، فهو كالتذاذ حاسة البصر بالنظر إلى الحضرة التذاذ القلب به "[١].**

**وقد أجاب ابن القيم على ذلك: " بأنه حيدة عن المقصود وروغان عن محل النزاع وتعلق بما لا تعلق به، فإن وجهة كون الشيء مستلذاً للحاسة ملائماً لها لا يدل على إباحته، ولا تحريمه، ولا كراهته، ولا استحبابه فإن هذه اللذة تكون فيما فيه الأحكام الخمسة: تكون في الحرام، والواجب، والمكروه والمستحب، والمباح، فكيف يستدل بها على الإباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال؟ وهل هذا إلا بمنزلة من استدل على إباحة الزنا بما يجسده فاعله من اللذة وأن لذته لا ينكرها من له طبع سليم.**

**وأعجب من هذا الاستدلال على الإباحة بأن الله خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال والصورة الجميلة أليست زيادة في النعمة أفيدل ذلك على إباحة التمتع بها على الإطلاق [٢]، وعلى هذا المنوال سار معظم صوفية تلك الفترة ممن يصعب ذكرهم هنا.**

**وقد ظل هذا الاتجاه قائما حتى عصر الشيخ عبد السلام بن غانم – وبالطبع حتى الآن– فرأينا صوفية القرن السادس والسابع ينهجون نهج سابقيهم في السماع من أمثال: السهروردي (٦٣٢هـ) صاحب عوارف المعارف الذي ذهب في كتابه إلى أن السماع لا يباح على الإطلاق ولا**

---

(١) إحياء علوم الدين: للغزالي (٢٦٩/٢).

(٢)مدارج السالكين: لابن قيم الجوزيه (٢٤١/٢ –٢٤٢).

**يحرم إنما حسب السامع والمسموع، فالكلام في الزهد ووصف الجنة والنار ونحو ذلك مباح السماع، أما ما كان في وصف النساء، وذكر القدود والخدود فلا يليق لأهل الديانة الاجتماع لمثل ذلك.**

**وأما ما كان في ذكر الهجر والصد والوصل مما يقرب حمله على أمور الحق – سبحانه – فإن أفاد المريد الندم على التقصير ودفعه إلى الجد في المسير فلا شيء فيه[1]، وهذا يعني أن السماع الذي هو في حد الشرع لا ينكره السهروردي، وإنما ينكر السماع الذي يدفع إلى أمر محرم .**

## أدلة الصوفية على إباحة السماع:

**استدل الصوفية على جواز السماع ببعض الأدلة منها ما ذكره السهروردي من عوارف المعارف: مثل حديث عائشة رضي الله عنها " رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأم " [2].**

**وكذا حديث الجاريتين عن عائشة – رضي الله عنها – : " أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتين تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال : دعهما**

---

(1) عوارف المعارف السهروردي – تحقيق د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الصلاة – باب الحراب في المسجد، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١ / ٤٥٩) حديث رقم (٤٥٤) المطبعة السلفية بدون.

**يا أبا بكر، فإنها أيام عيد" [١]، وذكر السهروردي أن من الأدلة على جوازه أن أبا طالب المكي قد نقل عن كثير من السلف : صحابي وتابعي وغيرهم ما يدل على ذلك وانتهى أبو طالب المكي إلى القول بجوازه لمن سمعه بقلبه، وشبهة لمن سمعه من زوجة أو جارية لدخول اللهو فيه، وحراماً لمن سمعه بشهوة أو هوى " [٢]، كما أورد السهروردي قول أبي طالب المكي في قوت القلوب فقال : قال الشيخ أبو طالب المكي، رحمه – الله تعالى –، في كتابه : " إن أنكرنا السماع مجملاً مطلقاً من غير قيد مفصل يكون إنكاراً على سبعين صديقاً، وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والمتعبدين، إلا أنا لا نفعل ذلك؟ لأننا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لم يسمعوا "، وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار، مع اجتهاده وتحريه الصواب، ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار، ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر وبين سماع ينكر [٣].**

**كما احتجوا للسماع بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [٤]، وقالوا: المراد: الصوت الحسن [٥]، وقيل لأبي الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد، وسرى السقطي، وذو النون يسمعون؟ فقال: كيف**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة العيدين – باب الرخص في اللعب، الذي لا معصية فيه في أيام العيد – صحيح مسلم (٦٠٧/٢) حديث رقم (٨٩٢).

(٢)عوارف المعارف: السهروردي، ص ٢٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢٣٨.

(٤) سورة فاطر: الآية ١.

(٥)عوارف المعارف: السهروردي، ص٢٣١.

**أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني؟ فقد كان جعفر الطيار يسمع، وإنما المنكر: اللهو واللعب في السماع وهذا قول صحيح [١]، واحتجوا أيضاً بما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إن من الشعر لحكمة " [٢]، ودخل رجل على رسول الله ﷺ وعنده قوم يقرءون القرآن، وقوم ينشدون الشعر، فقال: يا رسول الله قرآن وشعر؟ فقال: من هذا مرة ومن هذا مرة، وأنشد النابغة عند رسول الله ﷺ أبيات فيها:**

**ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوة أن يكدرا**

**ولا خير في أمر إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا**

**فقال له رسول الله ﷺ : " أحسن يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك " [٣].**

**كما استدل القشيري بحديث عائشة – رضي الله عنها –: " أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار، فجاء النبي ﷺ، فقال: أهديتم الفتاة؟ فقالت نعم.**

**قال: فأرسلت من يغني؟ قالت: لا، فقال النبي ﷺ : إن الأنصار فيهم غزل، فلو أرسلتم من يقول:**

**أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم [٤].**

---

(١) المرجع السابق ص٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب – باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه – فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠ / ٥٣٧) حديث رقم (٦١٤٥).

(٣) أورده الزبيدي في اتحاف السادة المتقين وقال: قال العراقي رواه البغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بسند ضعيف – الزبيدي (٦ / ٤٨٠)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، بدون.

(٤) الرسالة القشيرية: القشيري (٢ / ٦٣٩ – ٦٤٠).

**تعقيب**:

**ويمكننا أن نخلص إلى القول بأن الصوفية الأوائل ومن نحا نحوهم حائز في إطار محدود، دون إباحته مطلقاً أو تحريمه مطلقاً، بل إن البعض منهم ترك السماع وأنكره بعد إقباله عليه وذلك لما ظهر معه من حظوظ النفس وإرضاء للطبع حيث فقد السماع دوره المنشود من تحريك الوجدان وإثارة الحزن على التقصير والنسيان.**

**إذن مر السماع بأطوار منه المقبول ومنه المردود على حسب الحال الذي فصلناه من قبل، وقد فصل أبو نصر السراج أهل السماع فذكر أنهم على ثلاث طبقات، طبقة يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون، وطبقة يرجعون إلى أحوالهم فيما يسمعون، فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق وطبقة هم الفقراء الذين قطعوا علائقهم بالدنيا وسماعهم دون تلوث بشهوة أو تلبس بميل [١].**

**هؤلاء أهل السماع دون طرب، دون شعر يخرج من الحق دون إفساد لغايات السماع، أما إن خالط السماع حظ من حظوظ النفس ومطلب من مطالب الهدى فهو منكر عندهم.**

---

([١]) عوارف المعارف: السهروردي، (ص٢٣٨، ٢٣٩).

## المبحث الرابع: أدلة الشيخ عبد السلام بن غانم علي إباحة السماع:

الشيخ عبد السلام بن غانم يقف مع من يقول بإباحة السماع، وقد اهتم بإيراد الأدلة على جواز السماع والرد على المانعين، وقد أورد في سبيل ذلك مجموعة من الأدلة منها:

- أن بعض الصحابة والتابعين ـ كما يري ـ سمع وأباح السماع، ومنهم من لم يقنع بالسماع حتى سمع وكشف عنه القناع وتواجد وتحرك فقال: " وسمع من الصحابة ابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية – رضي الله عنه وغيرهم، وقال بإباحة السماع من السلف مالك بن أنس وأهل الحجاز أجمع يبيحون الغناء وأما الحداء[1] فأجمع الكل على إباحته وكان ابن جريج –رحمه الله تعالى– يرخص في السماع فقيل له: "إذا أتي بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ففي أي الجانبين سماعك فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات يعني أنه من المباحات" [2]، وأما الشافعي – رضي الله عنه – فإنه لا يحرمه ويجعله في العوام مكروهاً حتى لو جعل الغناء له حرفة وصناعة فترد به الشهادة، ويجعله مما يسقط المرؤة ولا يلحق بالمحرمات ..[3]، وكان ابن مجاهد –رحمه الله – لا يجيب دعوة إلا إذا كان فيها السماع، وقال يونس بن عبد الأعلى سألت الشافعي – رحمه

---

([1]) الحداء: بضم الحاء وكسرها: وهو الغناء للإبل حتى تسرع في المسير –الرسالة القشيرية: القشيري (٦٣٨/٢) هامش.

([2]) المرجع السابق: (٦٣٨/٢).

([3]) المرجع السابق: (٦٣٨/٢)

**الله- تعالى عن إباحة أهل المدينة السماع، فقال لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان فيه في أوصافه، وأما الحداء وذكر الأطلال[١] والمرابع وتحسين الصوت وتلحين[٢] الأشعار فلا أراه إلا صياحاً وكان أبو مروان القاضي رحمه الله تعالى عنده جوار يُسْمِعنَ التلحين قد أعدهن للصوفية..[٣]، وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يسمعون إليهما[٤] وكان أبو الحسن العسقلاني يسمع ويوله [٥] في السماع وصنف كتاباً رد فيه على منكريه، وكذلك جماعة صنفوا كتاباً في الرد على منكريه، وحكى عن بعض المشايخ أنه قال:" رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت: له ما تقول في هذا السماع الذي قد اختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو الصفاء الزلال لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء" [٦]، وحكى عن ممشاد الدينوري رضي الله عنه – أنه قال: " رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ فقال: ما أنكر منه شيئاً ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن، فقلت يا**

---

(١) مفردها الطلل وهو لغة: ما بقي شاخصاً من آثار الديار ونحوها، ومن الدار ونحوها: موضع مرتفع في صحنها يهيأ لمجلس أهلها، أو يوضع عليه المأكل والمشرب، ومن السفينة والسيارة ونحوهما: غطاء تفشى به كالسقف، والجمع أطلال وطلول: المعجم الوسيط (٥٧٠/٢) مادة طل.

(٢) التلحين: هو تغيير الكلمة لتحسين الصوت وهو مكروه لأنه بدعة. التعريفات: الجرجاني ص ٥٨.

(٣) تلبيس إبليس لابن القيم: ص ٢٤٢، عوارف المعارف للسهروردي: ص٢٣١.

(٤)تلبيس إبليس لابن القيم: ص ٢٤٢، عوارف المعارف للسهروردي: ص٢٣١.

(٥) والوله: إفراط الوجد. الجرجاني التعريفات ص٢٣٨ .

(٦)عوارف المعارف للسهروردي: ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

رسول الله إنهم يؤذونني وينبسطون فقال احتملهم يا أبا علي هم أصحابك، فكان ممشاد يفتخر بها ويقول كناني رسول الله ﷺ"[1].

وروى طاهر بن بليل الهمداني الوراق وكان من أهل العلم والفضل قال كنت معتكفاً في جامع جدة على البحر فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه قولاً ويسمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت: في بيتٍ من بيوت الله يقولون الشعر فرأيت رسول الله ﷺ تلك الليلة وهو جالسٌ في تلك الناحية وإلى جانبه أبو بكر الصديق –رضي الله عنه فإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي ﷺ يسمع منه ويقع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفس ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك القوم الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى جانبه يقول فالتفت إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " هذا حقٌ بحقٍ أو قال حقٌ من حقٍ"[2] شك الراوي في ذلك، وروى أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه بإسناده أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال: يا رسول الله قرآن وشعر؟ فقال: " من هذا مرة ومن هذا مرة" [3] وقال القشيري في رسالته عن جابر ابن عبد الله الأنصاري عن عائشة . رضي الله عنها . أنها أنكحت ذا قرابتها من الأنصار فجاء النبي ﷺ فقال أهديتم الفتاة؟ فقالت نعم؟ قال فأرسلت من يغني؟ قالت لا؟ قال ﷺ إن الأنصار

---

([1]) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

([2])المرجع السابق، بلفظ: حكى عن بعض الصالحين، ص٢٣٦.

([3])عوارف المعارف: للسهروردي. وهو جزء من حديث تقدم تخريجه.

**فيهم غزلُ ولو أرسلتم من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم [١]" وروى أيضاً بإسناده أن رجلاً أنشد بين يدي رسول الله ﷺ فقال:**

**أقبلت فلاح لها عارضان كالـــــــسيج**

**أدبرت فقلت لها والفـؤاد في وهـــــــج**

**هلي عليّ ويحكا إن عشقت من حرجً**

**فقال رسول الله ﷺ لا حرج إن شاء الله تعالى [٢].**

**ولقد أورد المقدسي جملة من الأخبار التي تثبت إباحة السماع[٣]، بإنشاد الشعر بالأصوات الملاح بين يدي النبي ﷺ، وبمكانة الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه عند النبي ﷺ حتى إنه وضع له منبراً في المسجد يقوم عليه ليفاخر وينافح عن رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ عنه: " إن الله يؤيد حساناً بروح القدس ما نافح وفاخر " [٤].**

---

([١])الرسالة القشيرية للقشيري: (٦٤٠/٢)، والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصداق، باب ما يستحب من إظهار النكاح وإباحة الضرب بالدف عليه وما لا يستنكر من القول – البيهقي السنن الكبرى، (٢٨٩/٧)، ط/ دار المعارف بيروت لبنان، بدون.

([٢]) الحديث: أورده ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وسمي الرجل حسان بن ثابت وهو حديث مذكور في قصة طويلة، الموضوعات: ابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان(١١٥/٣ – ١١٦ )، ط/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . ط الأولى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

([٣]) حل الرموز ومفاتيح الكنوز: لوحة ٩٠.

([٤])المرجع السابق: لوحة ٩٠.

**وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها كان الصحابة يتناشدون الشعر بين يدي النبي ﷺ وهو يبتسم.**

**وقال للنابغة بعد أن أنشده شعراً "لا يفضض الله فاك"، وقال عن شعر أمية بن الصلت: " إنه كاد في شعره ليسلم " [١].**

**وكان ﷺ "يحدو له في السفر، وإن أنجشة كان يحدوا بالنساء، والبراء بن مالك يحدوا بالرجال" [٢].**

**وعليه فالشعر الملقى بالصوت الطيب لا إنكار فيه، وقد استمع له النبي ﷺ ولم ينكره.**

**من هذا نخلص إلى إباحة السماع للشعر المدافع عن الدين المنافح للحق، والشعر الذي يحمل في جوفه الحكمة ويدعو إلى محاسن الأخلاق، وهذا جائز إذا ألقى القاء أو نُغم تنغيماً كما في الحادي، فلا نكران على اللفظ الطيب والصوت الطروب.**

---

([١])حل الرموز ومفاتيح الكنوز: لوحة ٩١.

([٢]) المرجع السابق: لوحة ٣٧.

## المبحث الخامس: حكم آلات السماع [١]:

يقسم الشيخ عبد السلام بن غانم الآلات على قسمين:

١- الأوتار والملاهي وهذه جاء في سماعها تحريم.

٢- الضرب بالدف والرقص، فقد أبيح للفرح والسرور وأيام الأعياد والعرس وعودة الغائب والوليمة والعقيقة، وقد ثبت أن أهل المدينة ضربوا بالدف وأنشدوا القدوم للنبي ﷺ:

طلع البدر علينا  من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا  ما دعي لله داع

وما اخرجه البخاري ومسلم عن عروة بن عائشة رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليهما وعندها جاريتان في أيام منى يدفعان ويضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فأنها أيام عيد ".

فهذه الأحاديث نص صريح في الصحيح على أن إباحة الغناء واللعب ليسا بحرام، ويدل أيضاً على كثير من الرخص منها اللعب وإباحة ذلك في المسجد ووقوفه مع عائشة حتى ملت مع صغر سنها، وإنكاره على أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ومنعه له من انتهار الجاريتين، وكان يقرع سمعه صوت الدف، وصوت الجاريتين، ولو كان بموضع يضرب فيه الأوتار لما جوَّز فيه الجلوس، ففيه دليل على أن صوت النساء أخف تحريماً من صوت الأوتار والمزامير.

---

(١) المرجع السابق: لوحة،٣٧،٣٨، ٣٩.

## المبحث السادس: الرد على منكري السماع وذكر من يحل لهم السماع:

يعد الشيخ عبد السلام بن غانم واحد من الصوفية القائلين بإباحة السماع، ولذا فقد رد على المنكرين بقوله: " أن كثيراً من المتعمقين كرهوه وأنكروه أصلاً وفرعاً وحقيقة وشرعاً، وهذا لا يجوز لأن فيه اتهام لكثير من العلماء بالفسق، إذ الكثير منهم سمعوا وتواجدوا وظهرت عليهم أحوال السماع، فيجب ألا نتهم على العموم كل من سمع، بل ننظر إلى حال السامع فمن صح فهمه وحسن قصده وصقلت الرياضة مرآة قلبه، وجلت بسمات العزيمة فضا سره، فصفا من تصاعد أكدار أرض طبعه، وبخار بشريته وخيالات وساوسه وعرى عن حظوظ الشهوات وتطهر من الشبهات فلا نقول إن سماعه حرام وفعله ذلك خطأ، قال أبو طالب المكي –رحمه الله تعالى– إن طعنا على السماع فقد طعنا على سبعين صديقاً، وسئل الشبلي رحمه الله تعالى عن السماع فقال : ظاهره فتنة وباطنه عبرة " [1].

### أدلة المنكرين ومناقشتها [2]:

ذكر الشيخ عبد السلام بن غانم مجموعة من النصوص التي استدل بها منكري السماع ومن هذه النصوص:

١–حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما – حين وضع أصبعيه في أذنيه وقد سمع زمارة راعٍ وعدل عن الطريق ولم يزل يقول يا

(1)حل الرموز ومفاتيح الكنوز: لوحة رقم ٨١.

(2) المرجع السابق: لوحة ٩٥.

**نافع أتسمع حتى قلت: لا، فأخرج أصبعيه من أذنيه وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع [١]، فهذا ليس فيه دلالة على التحريم ، بل فيه دليل قوي على إباحة الشبابة بدليل أنه لم يأمر نافعاً بسد أذنيه، ولم ينكر على الراعي عليه فعله، وحاشا رسول الله ﷺ أن يمر بمنكر ولم ينكره، أو بباطل ولم يبطله، إذ لم يعرف الحلال والحرام إلا من جهته، ولو كان حراماً أخبر به أصحابه، وأما سد أذنيه ﷺ فيحتمل معنيين: أحدهما: أنه كان سالكاً أتم الأحوال وأفضلها وأكملها، ونحن نقول إن الأولى تركه في كل الأحوال، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها.**

**الثاني: أنه ﷺ قلَّ أن يخلوا قلبه من فكرٍ وذكرٍ وحالٍ مع الله واشتغالٍ به، فلعله كان في حالةٍ تشغله عن مزمارة الراعي عن تلك الحالة لتأثيرها في القلب، كما أنه خلع ثوب أبي جهم بعد الفراغ من الصلاة لأنه كان عليه أعلام شغلته عن حاله ووقته، فلا نقول: إن ذلك يدل على تحريم أعلام الثوب، بل أنه استشعر أنها شغلت قلبه فخلعها فكذلك سد أذنيه[٢].**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٢٨٣) حديث رقم (٤٩٢٤، ٤٩٢٥)، وقال اللؤلؤي سمعت أبا داود يقول: حديث منكر – ط ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز: لوحة رقم ٩٦.

**٢- قال ﷺ : ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله إليه شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك [١].**

**٣-قال ﷺ : كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى [٢].**

**٤-قال تعالى: ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون﴾ [٣] قال ابن عباس . رضي الله عنهما. هو الغناء بلغة حمير [٤].**

**٥-قالت عائشة – رضي الله عنها: " إن الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها " [٥].**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي إمامة الباهلي، وهو جزء من حديث طويل، وقال محققه: فيه الوليد بن الوليد وهو لين الحديث، المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلف. ط الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٨ م (٢١٢/٨) حديث رقم (٧٧٤٩).

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء عن جابر، وقال العراقي لم أجد له أصل من حديث جابر، وذكر صاحب الفردوس من حديث علي، ولم يخرجه ولده في مسنده، راجع: إحياء علوم الدين للغزالي (٢٨٢/٢).

(٣) النجم: ٥٩ – ٦١

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،(٤٦٨/٧) ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

(٥) أورده الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: أورده الطبراني في المعجم الأوسط بإسناد ضعيف، وقال البيهقي ليس بمحفوظ، انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٢٨٢/٢).

==

**٦-قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل" (١).**

**٧-قال عثمان رضي الله عنه: "منذ أسلمت ما تغنيت ولا تمنيت ولا لمست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ " (٢).**

**٨-وقال الفضيل رحمه الله: "الغناء رقية الزنا" (٣).**

---

==

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط وقال: في إسناده مجاهيل، وبعضهم مدلِّس، انظر: المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي. ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، (٢٥٧/٣)، حديث رقم (٤٥١٣).

(١)أورده الغزالي في إحياء علوم الدين، وقال رفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح، وقال الحافظ العراقي : قال المصنف والمرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يُسمَّ، رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الؤلؤي، ورواه البيهقي مرفوعاً وموقوفاً – راجع: أحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، ط: مصطفى عيسى البابي الحلبي، (بدون) : (٢٨٣/٢)، وأورده أبو داود في سننه (٤ / ٢٨٣) حديث رقم (٤٩٢٧)، وأورده ابن حجر في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير وقال : أخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وفيه شيخ لم يسم، راجع: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، (٤ / ١٩٩)، ط/ شركة الطباعة الفنية المتحدة / القاهرة، ط١٣٨٤هـ / ١٩٦٢م، وأورده السيوطي في الدرر المنتثرة وقال: قال النووي: لا يصح ، راجع: الدرر المنتثرة للسيوطي، ص ١١٨، ط : البابي الحلبي(بدون) .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٢ /٢٨٣).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٢ /٢٨٣).

وبعد أن أورد الشيخ عبد السلام بن غانم هذه النصوص عقب عليها بقوله: " من هذا إذا قلنا بتحريمه أن نحرم الضحك أيضاً وعدم البكاء قياساً، ونحرم في حديث عثمان رضي الله عنه مس الذكر والتمني أيضاً قياساً، ويلزم من هذه الأحاديث كلها إذا قلنا بإطلاق التحريم أن يكون رسول الله ﷺ فعل حراماً وأمر بحرام ورضي حراماً، ومن ظن ذلك بنبيه فقد كفر، وقد ثبت بالنصوص الغناء في بيته ﷺ ورقص الجيوش في مسجده وإنشاد الشعر بالأصوات الطيبة بين يديه وعلى ذلك فلا يجوز التحريم بالإطلاق ولا إباحته على الإطلاق بل يختلف في ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص وأرباب الرياء والإخلاص "(١).

## الاتجاه الثاني: القائلون بالمنع، أو الكراهة:

ومن أصحاب هذا الاتجاه ابن الجوزي، وابن تيمية فقد أنكر أصحاب هذا الاتجاه السماع المختلف فيه وردوا على المجوزين بأدلةٍ:

## الرد على آراء المجوزين:

يستدل المجوزون بحديث عائشة رضي الله عنها، وكان عندها جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث فقال: أبو بكر أمزمور الشيطان في بيت رسول الله ـ ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ: " دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا".

وأيضاً " يا عائشة " ما كان معهم من اللهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو " لما زُفت امرأة إلى رجل من الأنصار، وقد عقب ابن الجوزي أنه لم

(١)حل الرموز ومفاتيح الكنوز: لوحة رقم ٨١.

يكن غناءً وإنما " كانوا ينشدون الشعر وسمي بذلك غناء لنوع يثبت في الإنشاد وترجيع ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال "[١].

أما ما فعله النبي ﷺ مع الصديق فهو رفضه للمغالاة في الإنكار والتغليظ فيه، ولم ينكر عليه الإنكار ذاته بدليل أن أبا بكر سماه (مزمور الشيطان) ولم ينكره النبي ﷺ ثم إن عائشة كانت على ذلك قبل البلوغ ولم يؤثر عنها بعده إلا ذم الغناء وإنكاره، وهذا جواب أبو الطيب الطبري في هذا الحديث، وقال ابن الجوزي واللهو المذكور في الحديث الآخر فلا يدل صراحة على الغناء ويجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره [٢].

وغاية أدلة المجوزين لا تدل على جواز الغناء المؤثر في الطبع المحرك للرغبات والشهوات، وهناك من تكلف في صناعة الأدلة كأبي نعيم الأصفهاني الذي قال: " كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم" وهذا كما يقول ابن الجوزي احتجاج بارد لأن البراء استلقى يوماً فترنم ولا يخلو الإنشاد من أن يترنم، وما أبعد الترنم عن الغناء والطرب[٣].

وأورد ابن الجوزي وغيره أدلة كثيرة وردوها إما لضعف راوٍ في الإسناد أو لجهالته.

كما احتج المانعون بأقوال بعض الصوفية الأوائل الذين رفضوا الغناء كقول الجنيد: " إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا لعب" وذكر ابن الجوزي أن ترخص المتأخرون في هذه المسألة أدى إلى

---

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص٢٣٧.

(٢) تلبيس إبليس: ابن الجوزي، ص٢٣٨.

(٣) نفس المرجع السابق.

مفسدتين: سوء ظن العوام بالقدماء، وجرأة العوام على اللعب فقال: "وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين:

أحدهما: سوء ظن العوام بقدمائهم؛ لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا.

والثاني: أنهم جرأوا العوام على اللعب، فليس للعامي حجة في لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا وانتهى ابن الجوزي إلى أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب ويذهب إلى القول بكراهته [1].

وأما ابن القيم في "إغاثة اللهفان" فقد ذهب إلى تحريمه فبعد أن ذكر مجموعة من الأحاديث التي تنهى عن ذلك قال: " ... فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذين ذكروا في هذه الأحاديث فهم أسرع الناس مسخاً قردة وخنازير لمشابهتهم لهم في الباطن [2].

وقال ابن تيمية: وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك كفر، واستماع الغناء والرباعيات كفر، والرقص بالإيقاع ونعت الراقصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب، وحرام على كل من يسمع القصائد والرباعيات الملحنة ... إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك وما لا يليق به عز وجل مما هو منزه عنه.

فيكون استماعه كما قال ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾[3] وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفضيل

---

([1]) المرجع السابق، ص٢٤٧.

([2]) إغاثة اللهفان: ابن القيم، ص٢٤٩.٢٥٠.

([3]) الزمر: الآية ١٨

**فهو كافر لا محالة " [١] وأجاز ابن تيمية سماع القصائد المتحدثة عن آلاء الله سبحانه ونعت الصالحين وصفة المتقين، وجعل الأولى منها الاشتغال بالعلم فقال: " ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة " [٢].**

**وبعد هذا العرض لآراء المجوزين والمانعين يمكن القول بأن السماع إذا خلا من المعازف، ومن الألفاظ المخلة بالمروءة فهو مباح لا شيء فيه، غير أن تركه أفضل، لأنه لهو يشغل القلب عن الذكر، وتخلية القلب عما يبعده عن الذكر، وتحليته بالفضائل، لأمر واجب على كل مسلمٍ مقتدٍ برسوله ـ صلي الله عليه وسلم.**

---

([١]) الحموية الكبرى، ابن تيمية، ص١٤٢.

([٢]) نفس المرجع السابق، ص١٤٣.

## المبحث السابع: أبعاد السماع الصوفي وآدابه:

لا غرابة في أننا نجد نظرة الشيخ عبد السلام بن غانم للسماع نظرة متسامية كنظرة الإمام الجنيد –رحمة الله– فيجعل السماع أحد أسباب تنزل الرحمات الإلهية، حيث يقول الجنيد: "تتنزل الرحمة على هذه الطائفة (الصوفية) في ثلاث مواضع: عند الأكل لأنهم يأكلون عن فاقة، وعند المذاكرة لأنهم يتحاورون في مقامات الصديقين وأحوال النبين، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا"(١).

ويمكننا تحديد أبعاد السماع الصوفي في بعدين رئيسيين، أحدهما نفسي تربوي، وثانيهما روحي عرفاني:

### أولا: البعد النفسي التربوي:

نظراً لما يتخلل التربية الروحية من مشاق ومتاعب فإن شيوخ التصوف سنوا جلسات السماع ترويحاً للقلوب، وتنفيساً لها من كثرة ما يلحقها من عناء المجاهدة ففي السماع "يستجم المريدون من تعب الوقت ويتنفس أرباب الأحوال مما يطرأ عليهم"(٢).

وقد تنبه الحكماء قديماً إلى هذه المعاني الترويحية مؤكدين أن "من حزن فليسمع الألحان؛ لأن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها، وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها"(٣).

---

(١) عوارف المعارف، السهروردي، ص ١٠٩.

(٢) التعرف لمذهب اهل التصوف، الكلاباذي، ص ١٧٨.

(٣) إحياء علوم الدين: الغزالي، (٢/٢٩٣).

**كما أن للسماع أثر في إحداث الأحوال النفسية المتسامية والمتمثلة في المشاعر الدينية التي تقرب القلوب من الله: كالطمأنينة والاقشعرار والخشية والخوف والشوق والحزن والسرور والوجل ولين القلب[١].**

**وقد استنتج الصوفية أن الله وضع في الأصوات الطيبة أسرار وأعاجيب لا تؤثر في الإنسان فحسب، بل حتى في البهائم، ومن ذلك" أن الجمال إذا عييت وقصرت عن السير، يحدو لها الحادي فتسمع وتمد أعناقها وتصغي بآذانها نحو الحادي ... وربما تُتلف أنفسها إذا انقطع عنها حدو الحادي من ثقل حملها وسرعة سيرها بعدما كانت لا تحس بذلك من إصغائها إلى حدو حاديها واستماعها إلى حسن نغمته[٢].**

**ومنه نفهم أن التلذذ بالأصوات الحسنة أمر فطري في الإنسان والحيوان على السواء و" استلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واستراحها إليها مما لا يمكن جحوده، فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء "[٣].**

**ولابد من لفت الانتباه أن مجالس السماع المفعمة بالنغمات الشجية والمشاعر الأخلاقية، والإيقاعات الموزونة تزرع في نفوس المترددين عليها- سواء أكانوا من الصوفية أو من غيرهم- قيما جمالية راقية، حيث**

---

(١) المرجع السابق، (٢/٢٩٦).

(٢) اللمع: الطوسي، ص ٢٣٩.

(٣) الرسالة القشيرية، القشيري، (١/١٥٣).

تورث فيه حب النظام، والجمال، وترسخ فيهم معاني الرقة، واللطافة، والطهر.

ومن هذا المنطلق فإن الشخص الذي لا يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره هو شخص مريض فاسد المزاج، وليس له علاج- حد تعبير الامام الغزالي- إذ أن روحه معتله، وطبعه أغلظ من الجمال والطيور وجميع البهائم [١].

ولابد من الإشارة إلى أن الحكماء القدماء كانوا يعالجون من به مرض السوداء(الاكتئاب)، بالصوت الطيب يرجع إلى حال صحته، وقد قدم الطبيب ابن سينا منهجية علاجية لهذا المرض تتمثل خاصة في مساعدة المريض على الفرح وذلك بإسماعه ألحانا تطربه، ووضعه في الأماكن المعتدلة [٢].

وهذا ما تنبه إليه علماء النفس المعاصرون حيث أقروا طريقة للعلاج بالموسيقي، وربطوها بالجانب الطبي، ونجحوا في ذلك أيما نجاح.

## ثانياً: البعد الروحي العرفاني:

بالإضافة إلى ما سبق فإن السماع يتضمن بعداً روحياً عرفانياً، ذلك أنه يُصفي القلب وينشطه، ويفتح له أبواباً من المكاشفات العرفانية، وفي

(١) إحياء علوم الدين: الغزالي، (٢/٢٧٦).

(٢)القانون في الطب: ابن سينا (٤/١٨٦) وما بعدها.

**ذلك يقول الغزالي: "ولا يبعد ان يكون السماع سبباً لكشف مالم يكن مكشوفاً، فإن الكشف يحصل بأسباب، منها التنبيه والسماع منبه"(١).**

**كما أنه قد يكون مرقاة للتفكير في عظمة الخالق عز وجل، حيث أن الإنسان لو سمع طائراً يغرد بعذب الأصوات لطاب له ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالي، وكان في ذلك التفكر مسبحاً ومقدساً لله، وبالمثل فإنه إذا سمع صوتاً شجياً لآدمي، امتلأ باطنه رقة وإعجاباً، وكان السماع دافعاً له على التفكر والاعتبار.**

**وللسماع دور في تذكير القلب بالعالم الروحاني الذي هو مجمع الحسن والجمال "فمتي سمع الروح النغمات اللذيذة، والألحان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية"(٢).**

**وكأن تلك النغمات محركة له لتذكر عالمه الأصلي، ولذا لما سئل الإمام الجنيد عن الإنسان يكون هادئاً فإذا سمع السماع اضطراب، فأجاب: "إن الله تعالى لما خاطب الذر في**

**الميثاق الأول بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى(٣)﴾، استفرغت عذوبه سماع الكلام الأرواح فلما سمعوا السماع حركهم ذلك"(٤).**

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٢/٢٩٣).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٤) الرسالة القشيرية، القشيري، (١/ ١٥٣).

وهذا نفس ما ذهب إليه الشيخ أبو محمد رويم حيث نقل ذلك عنه الشيخ ابن غانم فقال: "إن القوم سمعوا الذكر الأول حين خاطبهم بقوله: (ألست بربكم) فكمن ذلك في أسرارهم كمن ذلك في عقولهم فلما سمعوا الذكر ظهرت كوامن أسرارهم فانزعجوا"(١).

وقد عبر الشيخ عمر بن الفاض رحمه الله عما يعتريه أثناء السماع من شهود أنوار الذات الإلهية فقال:

ويحضروني في الجمع من باسمها شدا  فأشهدها عند السماع بجملتي

وذلك أن روحه تذكرت عالمها الأول فحنت إليه، واشتاقت للخطاب الأزلي الذي طرق سمعها قبل بدء الزمان

وما ذاك إلا أن نفسي تذكرت  حقيقتها من نفسها حين أوحت

فحنت لتجريد الخطاب ببرزخ الـــ  تراب، وكل آخـــــــــذ بأزمتي(٢)

والحالة التي يتحدث عنها ابن الفارض، نجدها عند الصبي الذي حينما نسمعه بعض الاصوات الشجية ينصت ويطرب، ويتهادي، لأنه تذكر العالم الروحاني الذي قدم منه، ويقول ابن الفارض في هذا الشأن:

وينبيك عن شأني، الوليد وغن نشا  بليدا- بإلهام كوحي وفطنة

إذا ان من شد القمـــاط، وحن في  نشاط إلى تفريج إفراط كربة

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ١٧٨.

(٢) الديوان لابن الفارض، شرح هيثم هلال، ص ٥٤، ط/ دار المعرفة- بيروت- لبنان

يُناغي فيلغي كُل كَـــــل أصابه ويصغي لمن ناغاه كالمتنصب

وينسيه مر الخطب حلو خطابه ويُذكره نجوى العهود القديمة

ويُعرب عن حال السماع بحاله فيثبت للرقص انتفاء النقيصة[١]

ويذهب الشيخ السهروردي –رحمه الله– إلى أن السماع يشير إلى تعاشق أصلى بين النفوس والأرواح، ويرجع هذا التعاشق إلى أنوثة النفس، وذكورة الروح، والميل والتعاشق بين الذكر والأنثى أمر طبيعي" وكما أن في عالم الحمة كُونت حواء وآدم، ففي عالم القدرة كُونت النفس من الروح الروحاني"[٢] فإذا نطقت النفس بالنغمات استلذها الروح وحدث بينها إيماء خفي كما يحدث بين المتعاشقين [٣].

ولابد أن نشير إلى أن الرقص على ترنيمات الموسيقي ونغمات الناي في طريقة الشيخ جلال الدين الرومي –رحمه الله– يتضمن أبعاداً روحية بعيدة الغور، منها أن المريدين عندما يدورون باسطي أذرعهم إنما يرمزون إلى الحركة الدائرية للكون، ويسعون من خلال ذلك الدوران إلى الوصول إلى المطلق بإدراك سر الدائرة، وسر الحركة الدورانية [٤].

---

(١) الديوان لابن الفارض، ص ٥٤.

(٢) السماع عند صوفية الإسلام، فاطمة فؤاد، ص ٨٩، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧م.

(٣) عوارف المعارف، السهروردي، ص ١١٦.

(٤) التربية الاجتماعية عند جلال الدين الرومي، مولودي مراد، ص ٣٤٣، وزارة الإعلام، دمشق– سوريا، الطبعة الأولي ٢٠٠٣م.

## آداب السماع الصوفي:

تتمثل طريقة السماع عند الصوفية في اجتماعهم على ذكر الله، فيفتتحون مجلسهم بآيات من القرآن الكريم، ثم يشرعون في الإنشاد، وقد يكون هذا الإنشاد فردياً، كما قد يكون جماعياً، وغالباً ما يصطحب الإنشاد بالوجد الذي تطلق عليه عدة تسميات، كالاهتزاز، والرقص، والعمارة، والنهاية، والحضرة.

وقد وضع الصوفية للسماع ضوابط عدة نذكر أهمها وهي:

- الزمان والمكان والإخوان كما قال الإمام الجنيد [١].
- خلو الوقت من معارض ضروري، أو شرعي [٢].
- وجود الصدق من الجميع وسلامة الصدر في الحال [٣].

ولأجل أهمية السماع، أوصي الصوفي مريديهم بأن يُولُوه عناية، وآداب خاصة، من أهمها صدق الحال بحيث لا يتواجد المريد إلا عند غلبة الحال، فإن زالت الغلبة، يجب عليه القعود والسكون لأنه إذا لم يكن صادقاً في تواجده تعوق في سلوكه وبقي "متخلفا لا يكاشف بشيء من الحقائق"[٤].

غير أنه يجوز للمريد أن يتواجد ولو لم يكن مغلوب بفرط الوجد في حالتين هما:

---

(١) اللمع: الطوسي، ص ٢٤١.

(٢) عوارف المعارف: السهروردي، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) الرسالة القشيرية: القشيري، (١/١٨٥).

أ- إذا أشار عليه الشيخ بالحركة فيكون تواجده- حينئذ- امتثالاً لأمر الشيخ الذي يدرك بفراسته ما يصلح بالمريد في أوان السماع.

ب-إذا أشار علية إخوانه الفقراء بأن يتواجد معهم، فيساعدهم في القيام بذلك تطييباً لخواطرهم ومراعاة للانسجام والوحدة.

وقد بين الإمام الغزالي أن التواجد- وهو تكلف- ينقسم إلى مذموم ومحمود وهو نفس ما قال به الشيخ عبد السلام بن غانم، فينقل لنا كلام الشيخ الغزالي ويقول:

- فالمذموم منه هو ذلك النوع الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة من خلو القلب منها.
- وأما المحمود فهو الذي يستعمله صاحبه لاستدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها حتى تصير له طبعاً، "فإن للكسب مدخلاً في جلب الأحوال الشريفة، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن، أن يتباكى ويتحازن، فإن هذه الأحوال قد تُتكلف مباديها، ثم تتحقق أواخرها"[١].

(١) احياء علوم الدين: الغزالي، (٢/٢٩٦).

## الخاتمة

لقد توصلت بعد معايشة هذه الشخصية إلى أن علم التصوف علم قوى متين لا يُفهم بمجرد نظرة سطحية وإنما يحتاج إلى دقة نظر، وإمعان فكر، وصبر جميل.

كذلك رأيت مدي ما تمتع به سلفنا الصالح من غزارة علم، ودقة فهم، فقد كان الواحد منهم بحراً فى كافة العلوم لا يكل ولا يمل، على العكس تماماً من أناس مثلى أعياهم مجرد إخراج علم واحد من هؤلاء الأعلام، فجدير بنا أن نسلك مسلكهم ونحذو حذوهم مادام قد أصابوا فيما راموه.

توصلت أيضا إلى وجوب إخراج تلك الشخصيات من أمثال الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي، إلى النور لما حوته تلك الشخصيات من العلم الغزير فى شتى العلوم والمعارف الإسلامية، هذا عموما.

أما على وجه الخصوص فقد أتضح لي من خلال دراسة حياة الشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي وموقفه من التصوف وعقيدته، ومن خلال القراءة فى كتب غيره من كبار الصوفية فى هذا الفن أن الشيخ قد سار فى كثير من مسائل التصوف على خطى السابقين عليه من كبار الصوفية، وهذا لا يعيب فى شئ بل هذا يدل على صدق السابقين ودقتهم فيما ذهبوا إليه حتى جاء من بعدهم فسار على نهجهم واقتفى أثرهم، وبجانب هذا فقد كان له فكره الخاص فى عرض بعض المسائل.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الدراسة:

١. أن الشيخ عبد السلام بن غانم – رحمه الله – كان عالماً متبحراً وأتخذ التصوف طريقاً له مع ميله إلى طريقة الأشاعرة الكلامية.

٢. انه كان معتدلاً في تصوفه، متزناً في أحواله وأقواله، لم يرد في كتبه ما يعرف بشطحات الصوفية، أو الكلام الخارج عن حدود الشرع والعقل.

٣. ان السماع له أهمية عظمي عند الصوفية جميعاً.

٢ . ان السماع ليس مباحاً على الإطلاق وليس محرماً بل إن بعضه مباحاً وبعضه محرماً.

٣ . أن الشعر الجيد الذي يدافع عن الدين، أو يدفع إلى صفات حميدة شعر مندوب غير منهي عنه.

٤ . أن الدف وما شابهه من الآلات التي تستخدم عند الفرح، أو الحرب آلات مشروعة غير منهيٌ عنها.

٥ . ان الآراء ما بين الكراهة والحرمة في الغناء، وأما القصائد في الزهد والتقوى فأجازه البعض وبدعه البعض.

٦ . الوجد، أو ما شابه ذلك عند سماع القرآن، أو السنة المطهرة، أو العلم مباح، وإن كان الثبات والاستقامة أفضل.

هذا والحمد لله أولاً واخيراً وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فذلك منى ومن الشيطان، أسال الله تعالى أن يغفره لي، وحسبي إن قد اجتهدت وإن لم أكن لذلك بأهل فعسى ألا أُحرم من الأجر.

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ -١٨٢].

# المراجع والمصادر


- اتحاف السادة المتقين، الزبيدي، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، بدون.
- إحياء علوم الدين للغزالي، الناشر دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- الأدب الصوفي: د. علي صافي حسين، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٤م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد الجويني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.
- الإرشاد، الجويني، تحقيق أسعد تميم، ط مؤسسة الكثيب الثقافية الطبعة الثالثة ١٩٩٩ م.
- أساس التقديس، الرازي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، ط: أولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- أصول الدين، البغدادي، ط: مطبعة الدولة، إستانبول، ط: أولى ١٣٤٦هـ١٩٢٨م.
- إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للبغدادي، ط منشورات مكتبة المثنى بغداد، بدون تاريخ.
- البداية والنهاية لابن كثير، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م
- تاريخ الأدب العربي بروكلمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، الناشر دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط/ السابعة ١٩٧٧م.
- التربية الاجتماعية عند جلال الدين الرومي، مولودي مراد، وزارة الإعلام، دمشق– سوريا، الطبعة الأولي ٢٠٠٣م.
- التصوف عرض ونقد: د. عبد الفتاح الفاوي، دار الهاني للطباعة والنشر / القاهرة، بدون.

- التصوف والثورة الروحية في الإسلام: د. أبو العلا عفيفي، ط الأولي /١٩٦٣م
- التعريفات: الجرجاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط عام ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨م
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
- تفليس إبليس لابن غانم المقدسي، تحقيق مُحَمَّد إبراهيم سليم، الناشر مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة ط ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
- حسن المحاضرة ، للحافظ السيوطي، ت/ مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء، ط الأولي ١٩٦٧م.
- حل الرموز ومفاتيح الكنوز: للشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي، دار الكتب المصرية تحت رقم (١٢٠١) تصوف طلعت، ميكروفيلم رقم (٧٠٤٠) تاريخ النسخ ١٠٧٢هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٩٦٧م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٩٦٧م.
- دائرة المعارف الإسلامية، ط دار الشعب، مصر عام ١٩٦٩ م.
- دراسات في التصوف الإسلامي: أ.د/ حسن الشافعي، أ.د/عبد الحميد مدكور، للدكتور: حسن الشافعي، دار الهاني / القاهرة ،١٢٤٨هـ/ ٢٠٠٧ م.
- ديوان المقدسي (عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي)، تحقيق ماهر مُحَمَّد عبد القادر، صادر عن العهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، عام ٢٠٠١ م.
- الديوان لابن الفارض، شرح هيثم هلال، ص ٥٤، ط/ دار المعرفة– بيروت– لبنان.
- ذيل مرآة الزمان لليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م
- الرسالة القشيرية: للقشيري، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف الناشر دار الكتب الحديثة. القاهرة. ط الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م.

- السماع عند صوفية الإسلام، فاطمة فؤاد، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧م.
- الشامل، الجويني.ط دار الكتب العلمية– بيروت.
- الشجرة والفصول: للشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي لوحة (٢٥) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١٧٧) تصوف حليم عربي، ميكروفيلم رقم (٢٥٨٢).
- شذرات الذهب لابن العماد، (٥ / ٣٦٢) ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط للأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: أولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.
- شرح حال الأولياء لعبد السلام ابن غانم المقدسي مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٢٦) مجاميع تيمور عربي ميكروفيلم رقم (١٨١٢٨).
- صحيح مسلم، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسي البابي الحلبي وشركاه، ط الأولي ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥
- صفوة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق وتعليق محمود فاخوري – ط/مكتبة النهضة الجديدة ١٩٧٠ م.
- طبقات الصوفية للسلمي (أبو عبد الرحمن السلمي)، تحقيق نور الدين شريبة من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ومكتبة الهلال ببيروت، ط الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م،
- الطرق الصوفية في مصر للدكتور عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط الخامسة ١٩٩٢ م.
- عوارف المعارف للسهروردي، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف – ط/ مكتبة الإيمان ط. الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، ط/ دار الجيل، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب: أبو طالب المكي، ط/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة ١٩٦٤ م.
- كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار: لعبد السلام بن غانم المقدسي ط/ دار الطباعة السلطانية باديز / ١٨٢١ م، مترجمة إلى اللغة الفرنسية: جارسان دي تاس.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة ط – وكالة العارف الجديدة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م الناشر مكتبة المثنى بغداد.
- اللمع: لأبي نصر سراج الدين الطوسي، تحقيق د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة / القاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، ط/عام ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م
- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، تحقيق د. عبد الحميد مدكور، ط مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة /١٩٩٦م
- مدخل إلى التصوف: د. أبوا لوفا التفتا زاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع / القاهرة، ط الثالثة ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م.
- مرآة الجنان لليافعي ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م.
- المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلف. ط الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٨ م
- موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي، ط: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ط الثالثة عام ١٩٩٣ م.
- الموضوعات: ابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن مُحَمَّد عثمان، ط/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط الأولى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

# فهرس الموضوعات

المقدمة ..... ٩٠٩
الفصل الأول: التعريف بالشيخ عبد السلام بن غانم المقدسي ..... ٩١٣
اولاً: اسمه: ..... ٩١٣
ثانياً: لقبه وكنيته: ..... ٩١٤
ثالثاً: نسبــه: ..... ٩١٥
رابعاً: مولده ووفاته: ..... ٩١٥
خامساً: شيوخه وتلاميذه: ..... ٩١٥
سادساً: مكانته العلمية: ..... ٩١٩
سابعاً: مذهبـه العقدي: ..... ٩٢٢
ثامناً: مؤلفـات المقدسي: ..... ٩٣١
الفصل الثاني: موقف الشيخ عبد السلام بن غانم من التصوف..... ٩٣٧
المبحث الأول: التصوف قبل الشيخ عبد السلام بن غانم: ..... ٩٣٧
المبحث الثاني: التصوف في عصر الشيخ عبد السلام بن غانم: .. ٩٤٦
المبحث الثالث: آراؤه وموقفه من القضايا الصوفية: ..... ٩٥٠
المبحث الرابع: موقفه من الصوفية السابقين: ..... ٩٥٢
الفصل الثالث: موقف ابن غانم من السماع الصوفي ..... ٩٥٧
المبحث الأول: تعريف السماع وانواعه: ..... ٩٥٧
السماع لغةً: ..... ٩٥٧
أما التعريف الاصطلاحي للسماع: ..... ٩٥٧
أنواع السماع: ..... ٩٥٩
المبحث الثاني: أهمية السماع عند الصوفية:..... ٩٦٥

المبحث الثالث: الاتجاهات فى السماع: ..... ٩٧٤
أولاً: القائلون بالإباحة:..... ٩٧٤
المبحث الرابع: أدلة الشيخ عبد السلام بن غانم علي إباحة السماع:
..... ٩٨٣
المبحث الخامس: حكم آلات السماع ()..... ٩٨٨
المبحث السادس: الرد على منكري السماع وذكر من يحل لهم السماع:
..... ٩٨٩
أدلة المنكرين ومناقشتها ..... ٩٨٩
الاتجاه الثاني: القائلون بالمنع، أو الكراهة: ..... ٩٩٣
المبحث السابع: أبعاد السماع الصوفي وآدابه: ..... ٩٩٧
أولا: البعد النفسي التربوي:..... ٩٩٧
ثانياً: البعد الروحي العرفاني:..... ٩٩٩
آداب السماع الصوفي:.....١٠٠٣
الخاتمة .....١٠٠٥
المراجع والمصادر .....١٠٠٧
فهرس الموضوعات.....١٠١١